المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو عبدي

يونيو ١٩٥٢ — الجزء ١ — المجلد ١٢١ — June 1952

حديث المقتطف

إن المقتطف، وهو يتابع خطواته الرائدة في خدمة العلم والثقافة في مصر والاقطار العربية كافة ليسره أن يقدم لقرائه الكرام عدده الثاني الممتاز، شاملاً طائفة شذية من الاحاديث والتمثيليات التي تفضّل بها عليه علم من أعلام العربية المعاصرين هو « الدكتور أحمد زكي أبو شادي » الذي خدم العلم والثقافة، وقاد حركة التجديد الشعرية في مصر أكثر من ربع قرن .

وهذا السفر القيم «من نافذة التاريخ» هو نافذة نطل منها على بعض أحداث التاريخ الاسلامية وعلى سمات بعض أعلام العرب الافذاذ، كما نطل منها على ناحية من ثقافة المؤلف الواسعة، وموهبته الفنية النافذة، وأهدافه البعيدة الموجهة .

فقد ضمّ ثلاث مقالات ذكية قصيرة تحدّث في الأولى عن مؤرخي العرب الاعلام ونادى بدراسة مؤلفاتهم وتعاليمهم النزيهة الحرة . وفي الثانية عن العدالة الاسلامية وفي الثالثة عن الحرية النسائية الأمريكية وكيف لاقت أول مدافعة أمريكية عن حقوق المرأة ألوانا من الاضطهاد . كما ضمّ ثماني تمثيليات إذاعية مستمدة منها تتصل بأحداث التاريخ الاسلامي، حيث يكمن وراءها ملامح بعض اعلام العرب الافذاذ ومفاخرات أبطاله الخالدين وذلك بأسلوبه الفني المركز . واثنتان واثنتان في تاريخ الفكر العربي هما : « الطائر الطليق » و « حارس البستان »

تتناول أولاها شخصية ابن سينا، وزبدة فلسفته. وثانيتهما تتحدث حديثاً فنيًّا لأول مرة عن حياة الفارابي وشخصيته وآرائه الفلسفية.

تروي التمثيلية الأولى مأساة الوزير العظيم أبي مسلم الخراساني وكيف غدر به الخليفة أبو جعفر المنصور وقتله.. وتقص الثانية قصة الجارية صباح المغنية مع مواليها ووفائها للبرامكة وبكائها وترحمها على أيامهم المجيدة. أما قصة «سلام الترجمان» فهي قطعة من صميم الحياة العربية.

وميزة هذه التمثيليات أنها تناولت موضوعات جديدة لم يطرقها مؤلف قبله: كقصة «أكبر خان» الملك الهندي المسلم، وامتناع الهندوسية «الديرا» عن قتله بعد أن تأيد لها إنصافه وعدله، وكقصة «أبي دلف الخزرجي» ورحلته الى بلاد الصين مع تابعه «عبد الباسط» ووصفه لما رآه هناك..

كما تمتاز بالاخلاص للحقيقة التاريخية والتجاوب مع العصر والشخوص والبواعث تجاوباً قويًّا، فضلاً عن عنصر الفكاهة التي يتخلل القصص، والأهداف الانسانية التي قصد إليها المؤلف، وما يتمثل منها من عبر بليغة حية.. وهذه القصص مع قصرها قد اكتملت موضوعاً وفنًّا، فقد تمكن المؤلف من رسم صورها بريشة مصوّر ماهر يكتفي بابراز المشهد بقليل من الخطوط والاضواء.

ولا نستطيع في هذا الحديث أن نحلل هذه المجموعة تحليلاً فنيًّا ولكننا ندع القارىء يستمتع بما وعته من حقيقة أبرزها الخيال، وجدة مازجته الدعابة، وبخاصة أن بعض القصص مثل قصة «سلام الترجمان» تتحدى التحليل، وتضيع طلاوتها اذا حاولنا التعليق عليها.

ولا يسع المقتطف إلاّ أن يشكر للدكتور أبي شادي هذه النفحات الأدبية النفيسة التي تحلي بها جيد هذا العدد الممتاز.

* *

تصدير

يشمل الجزء الأول من هذا الكتاب ثلاثة أحاديث وتمثل دوامات ألقيتها للإذاعة على العالم العربي من محطة (صوت أمريكا) في نيويورك، في حدود القيود الزمنية والتمثيلية التي تفرضها مثل هذه الإذاعة، وقد تيسرت فعلاً إذاعة معظمها فنالت تقديراً عاماً في الأقطار العربية شجع على طبعها.

وسواء أكانت نثراً أم نظماً، موجزةً أم مسهبة نسبياً، فأن عنايتي الأولى كانت موجهة، بجانب خدمة الأدب والفن، إلى التعبير عن الخواطر الإنسانية أو المثل الإصلاحية التي اقترنت بجهودي الماضية والحاضرة لخدمة وطني الأول العزيز، ووطن اقامتي الذي رحّب بي وأكرمني، ولخدمة الأمم الناطقة بالضاد التي يجمعها أخوة اللغة والثقافة الوثيقة العرى.

وليست لي من وراء نشرها الآن ـ بفضل عناية اللجنة الأدبية التي تألفت في مصر لنشر آثاري، ولا للجنة ذاتها ـ أية غاية مادية.

وإذ كان هذا أول آثاري الجديدة التي تظهر في مصر، فانه ليطيب لي أن أؤدي الواجب عليّ بشكر صديقي الأستاذ الأديب «عيسى خليل صبّاغ» رئيس القسم العربي في محطة (صوت أمريكا) الذي لولا حمايته لأنتاجي المتواصل، ولولا

اهتمامه الصادق به،لما تيسرت موضوعات هـذا الـكتاب وما سيتبعه من كتب متعددة في الأدب والفن واللغة والنقد والبحوث الانسانية وسواها . ثم بشكر لجنة النشر الغيورة التي يرأسها صديقي الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية ، وجميع أعضائها من أدباء مصر اللامعين ، وقد صدق عليهم جميعاً تعريف أبي تمّام للأخوة الفكرية الأدبية التي تمتزج كل الامتزاج بالعاطفة النبيلة .

وقد كان للأستاذ صباغ فضل آخر في إبراز التمثيليات التي تضمنها هـذا الـكتاب وكتابي (من ملعب الحياة) الذي سيتلوه ، وتلك الفرعيات والثنائيات الشعرية التمثيلية على صورة شائقة ، بفضل عبقريته التمثيلية المقتدرة في العالم العربي ، والتي تـاندها شاعريته وروحه الأدبية وثقافته الواسعة ثم قلبه الـكبير .

ولا يـسعني أخيراً إلاّ أن أعترف بديني الأدبي لجميع المؤرخين من قدامى ومحدثين ، ولدائرة المعارف الأسلامية ولأخواتها من المراجع الهامة ، منذ كنت حريصاً على احترام التاريخ في تأليفي ، وان أطلقت لقلمي العنان في التناول الأدبي الفني لموضوعاتي ...

نيويورك في أول مايو سنة ١٩٥٢ أحمد زكي أبو شادي

من نافذة التاريخ

محرر

صدرت حديثاً في بغداد حلقة جديدة من السلسلة المعروفة « بحكمة الشرق » Wisdom of the East Series. تناولت الزبدة الخالصة « لباب اللباب من فلسفة مؤرخ العرب الأشهر العلامة عبد الرحمن بن خلدون كما رسمها في مقدمة تاريخه العظيم ، وإن لم يعتن ليتمه وليشرحه كما كان يهوى ، أو ليطبّق في أصاعيفه المبادىء التي أختطها في مقدمته ، فجاءت نسخته الأصلية من التاريخ وفيها صفحات بيضاء عديدة ، ولعله ترك لقرائه أيضاً ذلك التطبيق بعد أن أوضح لهم مذهبه في الأسباب والنتائج وفي مقاييس الحوادث ، ولكنه بعمله الخالد كان سابقاً لزمنه ، وكان أول مؤلف عرفناه في فلسفة الاجتماع والتاريخ ، وكان إلماماً هادياً نزيهاً عظيماً لن يستغني العرب عن التزود من تعاليمه والانتفاع بها ما داموا يتطلعون الى مجد جديد .

ذكرني ظهور هذه الحلقة من السلسلة بواجب أدبي عليّ في تعاوني مع (صوت أمريكا) ، فليس بما أتوخى اذاعته من خطرات عن روائع الأدب العربي أو الأدب الأمريكي ، ومن قبسات من سماء الفن ، ومن ذكريات الأعلام ، ومن صور متفاوتة من مرائي الحياة ، ونحو ذلك من موضوعات جليلة ، — ليس شيء من هذا ولا كل هذا بالذي يعفيني من التطلع من شرفة التاريخ أو من نافذته الى حوادثه وعبرها مشركاً معي المستمعات والمستمعين فيما يجب أن لا يفوتنا علمه .

والعناية بالتاريخ من تقاليد الثقافة العربية منذ قرون حتى بلغ عدد المؤرخين العرب زهاء ستمائة مؤرخ في القرون العشرة الأولى من الهجرة ، كما تعددت مناحيهم في تناول موضوعات التاريخ ، وبينهم أعلام من أهل التحقيق والفكر السليم تمتز جيماً بسيرتهم ، كما يذكرهم بالتبجيل أحرار الفكر للعلمون والمتأملون في الأقطار المختلفة .

وحسبي في هذا الحديث الأول ، بعد الاشادة بأهمية التاريخ في اليقظة الانسانية ، وبقيمته كمادة أدبية لا تفنى ، أن أنوّه بالشخصيات العالمية بين مؤرخينا القدماء وبآثارهم البارزة النفع للعرب .

في طليعة هذه الشخصيات الجديرة الباقية الذكر محمد بن جرير الطبري أول من وضع تاريخاً كاملاً في اللغة العربية ، وإن أتبع طريقة العرب القديمة — طريقة التوقيت في التأريخ ، ذاكراً حوادث كل سنة مستقلة ، خلافاً لطريقة الاغريق الذين كانوا يعدون التاريخ تواماً لتقصص . عاش الطبري بين السنة الثمانمائة والثامنة والثلاثين والسنة التسعمائة والثالثة والعشرين وعلى هذا قد شمع نوره أكثر من ألف سنة فقد كان مفكراً حراً جريئاً جبّار الذهن ، وكان موسوعة معارف متعددة ، كما كان آية في صدق القول الصريح ، وبلغ من تفكيره الصريح أن أنشأ مذهباً دينياً خاصاً به أكثر تقدماً من المذاهب المعروفة في زمنه ، فتعرض في بغداد لثورة الحنابلة عليه . ويعد تاريخه العظيم أهم مصدر للتاريخ الاسلامي من الهجرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مع احتوائه أيضاً على معلومات قيّمة عن العصر الجاهلي . وقد عني بتذييله مؤرخون تالون من أهل المكانة حتى أبلغوه نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً ، كما عني باختصاره غير كاتب وكاد يضيع الأصل وسط هذه المختصرات ، لولا عناية المستشرقين بجمع أجزائه المصورة من عواصم شتى وطبعها في مدينة ليدن في مستهل هذا القرن . وأقل ما يجب عمله إزاء هذا الامام الجليل الذي يعد أبا للتاريخ الاسلامي ، أن تصدر طبعة أخرى محددة من تأليفه (أخبار الرسل والملوك) وفاقاً للموضوعات لا تبعاً لمجرى السنين ، مع شروح وتحقيقات في صورة هوامش تقوم بها لجنة للنشر تختار من الأعلام المؤرخين الباحثين . وان ما يهمنا في ذكرى هذا الامام العلامة ، إلى جانب التنبيه الى الانتفاع العام بدراسة تاريخه العظيم ، والتنويه بمعارفه الواسعة ، أن نمجد خلقه العالي ونفسيته السامية التي لم يبدّلها الفقر ولا الغنى ، فضرب المثل لكل من يريد أن يتصدّر للخدمة العامة من حب التواضع وإيثار مصلحة الناس وإرضاء ضميره أولاً وأخيراً وناهيك برجل يثقف أولاد الأعيان كان عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل ثم لا يرتضي إلاّ أن يعيش عيشة متواضعة ولا يؤمن إلاّ بارستقراطية الفكر والعلم . وهو فخر يعينه الرجل الذي تبدّلت ظروفه وما تبدّلت عزة نفسه حتى عندما اضطرته الفاقه الى بيع كرسي قيصه ليشتري الخبز !

وكان في مقدمة المؤرخين الذين استفادوا كثيراً من الطبري وبنوا على أساسه ، المؤرخ اللامع ابن مسكويه وزير مالية عضد الدولة البويهي ، فقد ألف تاريخه القيم (تجارب الأمم) بادئاً بالخليقة ومنتهياً بسنة ٣٦٩ هجرية ، وقد عني المستشرقون بطبعه في ليدن واحتفوا به إن غفلنا . ويمتاز تاريخه بتناول الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وبنظراته الشخصية في أحداث الأمم ونقداته إياها ، ولكنه صار على نهج الطبري في التأريخ للسنين . والاطلاع على تاريخه كالاطلاع على تاريخ الطبري رياضة أدبية لغوية ، وتمرس بأساليب بيانية فنية ، الى جانب ما يحتويه من فوائد وعبر من سير الرجال والأمم . وابن مسكويه رجل عظيم النفس ، فقد كان من وزراء الدولة البويهية ، وعلى الرغم من ذلك لم يبع ذمته لها ، بل وزن أعمالها بميزان الحق وحده فقال ما لها وما عليها — شأنه في جميع أحكامه . وهذه شخصية أخرى رائدة يحق للعرب الاعتزاز بها واستلهام عظمتها .

وشخصية ثالثة عظيمة أعقبت ابن مسكويه ، ولكن بعد ثلاثة قرون ، هي شخصية العلامة الجليل ابن خلدون الذي انتشت بهذا الحديث النبوي بالاشارة إليه . فقد ظهر ابن خلدون في القرن الثامن الهجري بلون جديد للتأريخ ولدرسه وفهمه لم يكن معروفاً من قبل ، نشأ له في ذلك تجاربه الفذة في المغرب والمشرق واتصالاته العديدة بالسلاطين أو الأمراء والحكام ومفاوضاته السياسية التي شملت حتى تيمورلنك ، إلى جانب اطلاعه الواسع وعبقريته الأصيلة ونزاهته المطلقة وقد جاء وما يزال تحفة رائعة تاريخه المسمى (كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) فقد وضع به فعلاً أصول علم التاريخ ، وروى في نزاهة مطلقة ما روى من الحوادث حسب الموضوعات بدل السنين ، وجاءت مقدمة تاريخه سجلاً نفيساً لفلسفة الاجتماع ومقاييس الحوادث وتطورها وتاريخه لا يمتد إلى ما بعد القرن الثامن الهجري فقد توفي سنة ٨٠٨ هـ .

وشخصية رابعة من هذا الطراز الجليل النادر ، والذي بدونه لا تقوم للامم قائمة ، هي شخصية المقريزي صاحب الخطط الشهيرة عن مصر الاسلامية ، فهو تلميذ ابن خلدون ومقتفي أثره وخير الترجمة على هؤلاء الأعلام هو دراسة مؤلفاتهم والاقتباس منها والاشادة بتعاليمهم النزيهة الحرة .

العدالة الإسلامية

أذاع الراديو مساء التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٠ أن محسناً أخفى اسمه تبرع لجامعة ييل Yale بمليون دولار للدراسات الانسانية . فهزتني هذه الأريحية بروحها ومظهرها ، وبانسجامها مع طبيعة هذه الأمة المحسنة ، ونبهتني إلى أن كثيراً من علل الطوائف والشعوب ، ومن شقاء البشرية ، مرده إلى الجهل بالحقائق الانسانية ، وإلى وضع أمورها في أيدي الحاكمين بأمرهم ، لا في أيدي أهل الاختصاص من علماء وفنيين ، وإلى تفشي الأنانية بين الأفراد تشبهاً بحكامهم الغاشمين .

كذلك ذكرتني هذه الهبة السمحة بقصة تاريخية رواها إ . ف نايت E. F. Knight في كتابه الموسوم (حينما تلتقي ثلاث امبراطوريات — Where Three Empires Meet) المطبوع سنة ألف وتسع مئة وواحدة (١٩٠١) . قال : —

(في منطقة كاراكورم — Karakoram — النائية الجبلية يكاتح عامة الأهالي جوّاً بارداً عنيفاً . واتفق أن زار الحاكم المسمى راجا رام سنج Raja Ram Singh شطراً كثيراً من هذا القطر ، فقابله جمهور مرتجف رث يحمل مصابيح مضاءة في وضح النهار ! فلما سأل عن معنى ذلك أجابه كليمهم :

« أيها المهرجا ! إن أرضنا اشتدت ظلمتها بحيث أحضرنا مصابيح لنكن عظمتك من رؤية بؤسنا ! واقنا لتتهل إليك لتنجدنا » — . وعرت بخاطري « عمرية » حافظ إبراهيم ووصفه البديع للخليفة العادل وهو نائم دون حراسة كأصغر رعاياه شأناً ... ثم مرت بخاطري المحاولات التي قامت شرقاً وغرباً في الديار الاسلامية فيما بعد لتحقيق العدالة الاجتماعية بالنظام الاشتراكي المعتدل . ولو كانت نجحت إحداها لكانت خلفت من الآثار في تطور المجتمع العربي الاسلامي اقتصادياً وثقافياً مثلما خلفت الحركة الوهابية من الآثار الطيبة في محاربة البدع والخرافات .

ونظرت من نافذة التاريخ فرأيت « الجمهورية الميمونية » في البحرين وما سادها من

العدالة الاجتماعية المطلقة ومن روح التقدم العجيب ، حتى صارت البحرين في حالة تغبط عليها من الفلاح والازدهار ، ومن الاستقرار الداخلي وقد زار هذه الجمهورية المثالية من المؤرخين الرحالين أمثال ابن حوقل والمقدسي وناصر خسرو ، فلم يجدوا في أهاليها منقصة واحدة .

ورأيت الرحالة ناصر خسرو يحاضر — بعد زيارته هذه الجمهورية الاسلامية العجيبة حول منتصف القرن الحادي عشر — فيتحدث عن تنظيم تلك الحكومة للأراضي بين المحتاجين ، وعن إلغائها معظم الضرائب ! ومن بين ما بلغ سمعي قوله :

« عندما زرت الاحساء رأيت ثلاثين ألفاً من السودان يشتغلون في الحقول والبساتين على حساب مجلس الحكومة ، وهي حقول مشتراة بمال الحكومة . ولم يكن يدفع المزارعون لها شيئاً من الضرائب . ومن عجز منهم أو أصابه دين فالفقر ، كانت تساعده الحكومة وتسلفه ما يحتاجه من المال حتى يعود إلى حاله ، ومن استدان لا يدفع فائدة عن دينه . وإذا دخل غريب الاحساء وكان من أصحاب الصناعات أو له معرفة بشيء منها استأجرته الحكومة واشترت له أدوات حرفته ، حتى يحسن حاله فيرد المال كاملاً إلى الصندوق العام دون فائدة أو ربا »

وعلاوة على ذلك تساعد الحكومة المعوزين والمنكوبين وتحارب الفقر كما تحارب الجهل والمرض ، وتؤدي وظيفة جمعية كبرى تعاونية مركزية ، فتقوم مثلاً بطحن الحبوب مجاناً على حساب صندوق الجمهورية العام . وهكذا لم يكن في الاحساء ولا فقير واحد ! والتجارة عامة بيد الحكومة ولا سيما الخارجية منها ، والأرباح الناتجة عنها تنفقها الحكومة على المرافق العامة . وهكذا العيش في هذه الجمهورية هادىء مطمئن ، والناس ينعمون بالاخاء والمساواة والعدالة والبحبوحة ، وهم في أمن كامل من الخوف إذ لا ينغص عيشهم ظلم أو ضريبة ، وحريتهم الفكرية والدينية مصونة . وهم مسلمون ، تقدميون في مذهبهم ، إذ أنهم لا يؤمنون إلا بالقرآن الكريم ويشكون في صحة معظم الأحاديث ، وينفرون من البدع والخرافات ومن سيطرة الاقطاعيين ومن نظام الطبقات والامتيازات التي تخالف روح الاسلام الحريصة على الاخاء والمساواة . ولو ترك الميسوئيون وشأنهم فلا ريب أنهم بالغون منزلة رفيعة ديناً ودنيا . ولكن أخشى ما أخشاه أنهم سيتعرضون للاختلال عليهم ولتشريد نهضتهم نظراً لخطرها على أصحاب الحكم المطلق

وعلى الجامدين المتعصبين الذين لأطماعهم الدنيوية . كذلك أخشى أن تدفع الحماسة هؤلاء الجمهوريين إلى الغرور ثم الى الطروب الخارجية نشراً لمبادئهم الاصلاحية ، بدل الاعتماد على الكتب والنشرات وهدمها ، وبذلك قد يجازفون بالنظام الرائع الذي أسسوه تعبيداً للمبادىء الاصلاحية التي تحرق منها حكام المسلمين طمعاً في الدنيا ، فجرّوا بذلك الويلات على أمتهم » .

ولم يمض وقت طويل حتى رأيت مخارف ناصر خسرو تتحقق ، فخسر العرب والمسلمون أعظم جمهورية مثالية نبتت في جزيرة العرب وضاعت معها جميع المؤلفات والوثائق والدراسات والخطب والرسائل والمضابط المعبرة عن مبادئها وعن آراء زعمائها ومفكريها وهيئاتها ، وتركنا نتلمس الحقيقة بصعوبة وسط طوفان من الأكاذيب التي اختلقها خصومها عليها وتناقلها الكتاب المحرومون البحث والاستقلال.

يؤمن عامة الصينيين باتصال حياتهم بحياة أجدادهم الأقدمين ، ولو مرّت على وفاتهم مئات السنين ، فيوقرونهم ويستلهمونهم ويضعون على قبورهم في احتفال الربيع قصاصات صغيرة من الورق الأصفر ذكرى واجلالاً لهم ، كما قد يقيمون هياكل بديعة لذكراهم . أما تقاليد المسلمين بل العرب عامة والأمم الناطقة بالضاد التي تأثرت بحضارتهم وحكمتهم فتدعو الى المحاكاة الفكرية والروحية والى اجلال الأجداد المحسنين وتراثهم عن طريق الدراسة اليقظة والانتفاع بهباتهم التي خلّفوها لنا وللانسانية عامة ، ولو طمستها الاهواء والتعرّبات السياسية أجيالاً طويلة .

الحركة النسائية الامريكية

في ١٧ نوفمبر سنة ١٦٣٧ أي منذ أكثر من ثلاثة قرون وقفت أول مدافعة عن حقوق المرأة في التاريخ الحديث أمام قضاتها في بوسطن .

تلك كانت Mrs. Anne Hutchinson كريمة أحد رجال الدين ، ومن نابغات النساء المفكرات في عصرها . وقد رقّت صيحتها بالدفاع عن شخصية المرأة وانسانيتها وعن حقها في التفكير المستقل ، وتردد صداها في أقطار شتى جيلاً بعد جيل ، فهي من ألهمت حركة تحرير المرأة وحينما يذكر مثلاً كفاح المرأة المتزوجة في انجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر للحصول على حقها في الملكية ، وفي التصرف المستقل عن زوجها في شؤونها المالية ، ثم كفاحها بزعامة Mrs. Pank hurst في مستهل القرن الحالي لاستخلاص حقوقها السياسية ، وحينما يذكر فوز نساء زيلاندا الجديدة ببعض هذه الحقوق في سنة ١٨٩٣ ، وسيحة قاسم أمين في مصر لتحرير المرأة منذ سنة ١٨٩٩ ، والتطورات التقدمية للحركة النسائية الى أن فازت نساء أمريكا منذ ثلاثين عاماً بحقوقهن السياسية الكاملة وصارت منهن الوزيرات والمندوبات الى الأمم المتحدة ، وكاد الحزب الديمقراطي يرشح Mrs. Elenor Roosevelt لنيابة رئاسة الجمهورية ، وصارت النساء الأمريكيات قوة عظيمة فعّالة غلابة في اقتصاديات الأمة وفي التوجيه الاصلاحي الاجتماعي ، وتألفت الاحزاب النسائية النشيطة في الأقطار التي يتطلع نساؤها إلى المساواة بين الجنسين كحزب (بنت النيل) في مصر التي ترأسه بجدارة الدكتورة درية شفيق — حينما يذكر كل هذا والنهضات النسائية العظيمة التي تسلسلت في أنحاء العالم ، يقتضي الوفاء باكرام ذكرى آن هتشنسون Anne Hutchinson الرائدة الأولى للحركة النسائية .

وإذ نطل من نافذة التاريخ نجد حاكم بوسطن Sir Henry Vane جالساً إلى مكتبه وهو يحاور وفداً من رجال الكنيسة وأعيان المدينة وقد جاء الوفد يلحف في المطالبة بانزال أشد العقوبات بآن هتشنسون بل بالتنكل بها ، ونسمع المجادلة الآتية بينه وبين رجل الدين الأول الناطق بلسان الوفد ، وقد لمع في عيني الحاكم بريق الحزم والسخط

— « ليس في وسعي أيها السادة أن أكرد شاهداً على هذه المرأة الصالحة » . — « وأي صلاح هذا الذي يقترن بدعوى أنها أضرت بالسلام الكنيسة ، وأن رأسها يحتوي رؤوسنا تماماً ، وأن رجال الدين ليسوا وحدهم القادرين على تفسير (الانجيل) المقدس ، وأنه لا حق لرجال الدين في المساهمة على تحقيق الحكم الصالح ، وأن عقل المرأة المخلوقة من ضلع الرجل مساو لعقله ؟ » .

إنَّ هذا هو عين الكفر بإرادة الخالق الذي ميَّز بين الجنسين ، وجعل الرجال قوَّامين على النساء .

— « لا تنسوا أيها السادة أن أجدادكم لم يأتوا إلى هذه البلاد إلاَّ هروباً من الاضطهاد الفكري وتشدداً لحرية العقيدة . وأنا لا أرى ما تردون في شأن هذه السيدة التقية ، ولا يمكن أن ينالها مني أو بواسطتي أي أذى » .

— « ما هذا الكلام يا سعادة الحاكم ؟ إن هذه المجنونة الدعية تثير النساء ضد الكنيسة ، بل تثيرهم ضدَّ الرجال عامة ، وقد نجحت في تجمعها ، فصارت وما زالت تعقد اجتماعات أسبوعية من النساء لمجرد التشهير بنا ، والثورة علينا . وما دمت لا تريد التدخل في أمر هذه الثائرة فسنستعمل حقنا الذي خصَّنا به الإله العلي ، وسنبت في شأنها عاجلاً » .

ثم ودَّعوا الحاكم في شبه غطرسة ، والشرر يكاد يقدح من عيليه . وما كان بوسعه أن ينقذها من مخالبهم وهو يعلم أن مستعمرة خليج ماساشوساس كانت بنظام حكمها شبه ثيوقراطية تسيطر فيها الكنيسة تمام السيطرة على الرجال فضلاً عن النساء .

ثم نظرت مرة أخرى من نافذة التاريخ وكررت النظر ، فشهدت محاكمة Anne Hutchinson على أيدي تلك الطغمة ، وقد وقفت هذه السيدة النابهة في شجاعة تجابه قضاتها الأربعة الذين جلسوا الى منضدة فاصلة بينها وبينهم . ولمحت زمرة من الرجال جالسين على جانبي القاعة ، كما لمحت عدداً من الحراس ، وسمعت بين ما سمعت هذا الحوار بين رئيس القضاة « والمتهمة » : —

— « إنك مذنبة بتآمرك على الكنيسة إذ تعقدين اجتماعات من النساء الغبيات ، وهكن انتقاد مواعظ الأحد وتعاليم الكنيسة ، وتشجيب طائفة الرجال ، ولذلك قرر

نظار الولاية محاكمتك بواسطة هذه المحكمة العامة » .

— لا ذنب عليَّ في شيء . بل الواجب عليكم أن تشكروني بدل مؤاخذتي .

فقد نبهتكم بسلوكي الى أنكم لا توقرون أمهاتكم وزوجاتكم التوقير الواجب ، والى جهلكم تربية بناتكم ، فينشأن خالمات راضيات عن سلب حقوقهن الطبيعية . وان حرمانكم المرأة التفكير في شؤون الكنيسة والمشاركة فيها ، بل حرمانها الاهتمام حتى بشؤونها الخاصة لظلم وخيم العاقبة . واعلموا أيها السادة أن عقل المرأة ليس دون عقل الرجل بل ربما كان أفضل منه ، وأن حقها ليس دون حقه ، وأن ما تتشدقون به من تحليل وتحريم في مواعظ الاحد ليس من المسيحية في شيء . . . . »

ولم تطل هذه المحاكمة الصورية غير يومين ، وانتهت بصدور الحكم بنفيها . . . فانتقلت مع شيعتها الى (رود أيلاند) حيث جعلت الشعار السائد حرية الفكر ، وأنه لا تجوز معاقبة أحد على رأيه المستقل وعقيدته .

ولما توفي زوجها انتقلت الى ولاية نيويورك حيث أسر الهنود الحمر جميع أسرتها البالغ عددها خمسة عشر شخصاً ، وذبحوهم جميعاً عدا طفلتها سوزانا Susana سنة ١٦٤٣ .

وكان أنصار هذه الرائدة الحرة الفكر يعدونها كالقديسة ، ويعتبرون دمها الزكي قرباناً للحرية ، وعلى الاخص لحرية المرأة .

مقتل أبي مسلم الخراساني

دراما في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

أبو مسلم الخراساني	نيزك
سعاد، جاريته	عيسى بن ديحون
سالك بن الهيثم	أبو جعفر المنصور

يمثل المنظر الاول، حجرة الاستقبال في دار أبي مسلم الخراساني بحلوان، وقد تصدر الفاجعة في حالة نفسية مضطربة من جراء الملاح الخليفة عليه بالتوجه الى المدائن، والمثول بين يديه، وقد كان يخشى غدر الخليفة أبي جعفر المنصور، لما بينهما من تنافس وضغينة، وإذ كان أبو مسلم على هذه الحالة دخلت عليه جاريته الامينة سعاد متلهفة دون استئذان.

سعاد — عفواً يا مولاي، إذا تطفلت هكذا بالدخول عليك في غير استئذان، ولكن هو ولائي لذاتك الكريمة، ولبيتك، يفرض عليَّ أن أطلعك دون ابطاء، قبل أن تبت نهائيًّا في أمر رحلتك الى المدائن، بما يهمس به الناس بل خاصتهم....

أبو مسلم — لا جناح عليك يا سعاد، أراك مذعورة... فماذا يقول أولئك الناس؟.... اجلسي وكوني مطمئنة...

سعاد — يقولون يا مولاي ما قاله المنجّم... ويرددونه.. ويؤكدونه... ويزيدون عليه شرحاً وتأويلاً...

أبو مسلم — (متوجساً) هدئي روعك يا سعاد. ماذا قال المنجّم، وماذا يقول الناس؟

سعاد — قال المنجم، إنه رأى أسداً له مثل رأسك اصطفاه ثعلب خبيث، له رأس كرأس المنصور، وادّعى هذا الثعلب أن له دالة على الأسد لأن والد الثعلب كان صديقاً حميماً للأسد، فتفاهم الأسد والوالد على أن يقوم الأسد بالغزوات والفتوحات، فتكون في يده القوة الحربية، في حين يحتفظ الثعلب الكبير بالادارة ومظاهر الملك، فتكون

في هذه الفترة السياسية ، وعلى أساس هذا التفاهم قضى الأسد على المنافسين ، وبنى ملكاً جديداً نعم به الثعلب الكبير أكثر مما نعم به الأسد . ثم مات الثعلب الكبير وحل محله ابنه الأكبر ، ولكن الابن الأصغر — وهو الثعلب الصغير — كان يحقد على الأسد ، وينفس عليه شهرته وحسن مكانته ، وكان يغري اخاه بالكيد للأسد ، وبالتآمر على قتله ، فكان أخوه يجزع لمحض الفكرة ويعزف عنها مرعوباً ، وأخيراً توفي الأخ الأكبر وآل الأمر الى الثعلب الصغير ، وكان منذ سنين قد أصدر حكماً بينه وبين نفسه بقتل الأسد على الرغم من علمه بأنه البطل المغوار والقائد المحنك الذي لا يعوض للدولة ، ولكن هكذا قضت أنانيته الحاسبة . . .

أبو مسلم — (مقاطعاً ، وهو يمسك روحه) مهلاً يا سعاد ، اني لا أرى وجهاً للتشبيه والمقارنة . اني رجل عمل وكفاح ، ولا أثق بالأحلام والمنجمين ، وقد أعتد بنفسي ولكنه اعتداد من يصون كرامته لا اعتداد الخطرة ، ولولا ذلك لما تمكنت من ضرب ملك بني مروان واقامة ملك بني العباس مكانه وأنا في شرخ الشباب ، ولماذا يحقد أبو جعفر عليّ وقد أمنت له الأقطار وأخمدت الفتن ، ومن بينها ما قام بها عمه عبد الله ، ولم أبن مجداً لنفسي على حساب الدولة ولا على حسابه هو ، بل الدولة هي التي بنت مجدها على حسابي .

سعاد — عفواً يا مولاي . . . اني أروي لك حديث المنجّم على علاته ورأي الخاصة فيه وهمس الناس عنه ، لقد رأى المنجم ذلك الثعلب النحيل يكيد للأسد ويستفزه للغضب والسخط والثورة حتى إذا ما غدر به وقتله فيما بعد لا يقول أحد انه اغتاله ، وانما يقال إنه هو قتل لنكثه بالعهد وان يكن أسداً . وقد رأى المنجّم صديقين للأسد يشبه وجهاهما وجهي صديقك مالك بن الهيثم وعزك ، وهما يشيران عليه بفصم علاقته بالثعلب وبالرجوع الى عرينه في خراسان والاستقلال به ، وبأن لا يصيخ الى الترغيب ولا الى الترهيب ولو جاءا من عملائه أو أصحابه ، فالسلامة كل السلامة في البعد عن الثعلب الداهية الخبيث ، ولكن الأسد لم يسمع الى النصح المتكرر ولا إلى الانذار المتتابع ، وتوجه الى الثعلب كأنما القدر الجبّار يسوقه إليه سوقاً ، فاستقبله الثعلب كما استقبل قواده أحسن استقبال وفي اليوم التالي أعد أربعة من الضباع من بين حراسه الأشداء ، فهجموا على الأسد وهو في مجلس الثعلب على غرة منه وفتكوا به ، ثم رمى بأشلائه في ضجة

(يسمع وقع أقدام مقتربة)

أبو مسلم — (مقاطعاً) كفى . كفى . إنصرفي يا سعاد . فاني أسمع وقع أقدام وها هما مالك

ابن الهيثم ، ونيزك خادمان . (تنصرف سعاد ، ويدخل صديقاه ، مالك بن الهيثم ونيزك)

أبو مسلم — (متهالكا روحه) مرحباً ، مرحباً .

مالك ونيزك — سلام ومودة .

مالك — جئنا معاً تلبية لدعوتك ، ونحن نقدر سببها فما يشغل بالك يشغل بالنا منذ أيام .

أبو مسلم — أنتما موضع ثقتي وملجأ سري ومشورتي في النهاية ، ولا أكتم صديقي أني في حاجة قصوى إلى مشورتكما ، لا أقول إني أفتقدت شجاعتي ، ولكني مقبل المخاطر ، فبينما سلامتي في اللجوء الى خراسان ، أشعر بما يجذبني الى المدائن ، وهذا أبو داود يكتب اليّ من خراسان محذراً من معصية الخليفة ومن الرجوع الى خراسان ضيلاً باذنه ، وهذا أبو اسحق الذي أثق به ، وقد أوفدته الى أبي جعفر ليأتيني برأيه ، فجاءني يقول إنه لم يجد من القوم ما ينكره ، وأنهم معظمون لحقي ويشير عليّ بالرجوع الى أبي جعفر فأعتذر اليه عما بدر مني وأستعيد مودته ، وهذا أبو حميد رسول أبي جعفر ينقل اليّ رسالة شفوية منه كلها وعيد وتهديد إن أنا خالفته ولم أذهب إليه ، بينما يعدني بكل خير إذا أنا طاوعته وعدت الى التعاون الكامل معه ، وها هم أصدقاء لنا من بني هاشم حضروا مجلس أبي جعفر يكتبون اليّ معظمين أمره ، محذرين من عاقبة مخالفته ، ملحين عشولي بين يديه والناس رضاه ... ووسط كل هذه البلبلة أشعر بما يجذبني قصراً الى المدائن .

مالك — نشعر بشبكة محكمة حولك تمنعك من التماك ... تشعر بعجزك عن النجاة فتستسلم دون تفكير ولا صراع ، وما هذه بطبيعة أبي مسلم .... إن أبا جعفر لسفاح وان تظاهر بالحكمة والتقوى ، وقد أباح دمك منذ بزوغ نجمك ، وتحلي عظمتك ، فهو حقود حسود ذو منطق أناني لا يرحم ، وقد أحلّ دمك منذ سنين وان لم يعلن ذلك ، وقد حاول تحطيم أعصابك بدسائسه الخبيثة الواسعة النطاق التي تعتمد على التهديد والترغيب في آنٍ واحد ، والرشوة سلاح من أسلحته وبها استمان عليك بمنافسيك وأصدقائك في آنٍ واحد ، وبين الأولين منافسك أبو داود حتى تيأس من اللجوء الى خراسان ، وبين الآخرين أبو اسحاق الذي أجزل له أبو جعفر العطاء ووعده سراً بولاية خراسان ثمناً لخديعتك .....

فتيقظ يا أبا مسلم ، تيقظ وعد الى عزمك وحزمك ، ولا تصأ بما يقول أبو حميد عن

المنصور . لا تسمع كلام هذا الرجل ، ولا يهولنّك هذا منه ، إنه إلى خراسان ولا ترجع ، فوالله لئن أتيت المنصور ليقتلنّك ، وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك بعده أبداً

أبو مسلم — وما وراءك أنت يا نيزك ؟ إني والله ما رأيت حاويلاً أعقل منك ، فما ترى ؟ فقد جاءت هذه الكتب وقال القوم ما قالوا ، وقد سمعت رأي صديقنا الحميم مالك .

نيزك — لا أرى أن تأتي المنصور ، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين الري وخراسان لك ، وهم جندك ، ما يخالفك أحد ، فإن استقام لك استقمت له وإن أبى كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك .

أبو مسلم — إني أشعر بقوة خارقة ميسّرة تدفعني الى المدائن ، ولو لقيت حتفي :

ما للرجال مع القضاء محالةٌ ذهب القضاءُ بحيلة الأقوام !

نيزك — أما وقد عزمت على هذا ، ولم تستمع إلى مشورتنا — وإن تظاهرت بطلبها والاهتمام بها — فأحفظ عني واحدة : — إذا دخلت عليه فأقتله ، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك ! (فصل موسيقي رهيب مدة نصف دقيقة ما بين النظر الاول والنظر الثاني)

المنظر الثاني

(يمثل حجرة الاستقبال في دار عيسى بن موسى ابن أخي المنصور وصديق أبي مسلم الخراساني في المدائن ، وقد تناول أبو مسلم طعامه عنده) .

عيسى — سيأتيك ما أتى القرون التي مضت وما حلّ في أكناف عاد وجرهم
ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً وأبعد في الطلبيش الهمام المعمرم !

أبو مسلم — (مذعوراً) هذا مع الأمان الذي أعطيت ؟ !

عيسى — اهدأ يا أخي إن كان هذا لشيء من أمرك ، وما هو إلا خاطر أبداه لساني .

أبو مسلم — فيش الخاطر ، والله إذن . . . (— تدخل الجارية —)

جارية — مولاي ، بالباب رسول من أمير المؤمنين يدعو خليفتنا للمثول . .

عيسى — لينتظر الرسول قليلاً حتى أتوضأ .

أبو مسلم — لا أريد أن أطيل انتظاره إذ أني لم أمكث في حضرة الخليفة إلا برهة قصيرة مساء الأمس ، فقد دخلنا المدائن بعد أن أرخى الليل سدوله ، ومع أنه تلطف معي ، فإني لم أرتح إلى ابتسامته المتكلفة التي بدت كقناع شفاف ، بيد أني لم

أتبين الثياب المبهمة التي وراءها . . . .

عيسى — كل خير ان شاء الله ولكن لا تعجل بالدخول حتى أحضر وأدخل معك.

(يخرج عيسى الرضوء — وعلى الاثر تدخل الجارية)

الجارية — يلتمس الرسول أن لا تبطىء يا سيدي لأن أمير المؤمنين لا يحب الابطاء.

أبو مسلم — اذن عليَّ أن أتوجه دون انتظار مولاك . .

الجارية — صحبتك العناية والسلامة يا سيدي . . .

أبو مسلم — (مضطرباً) السلامة ، وهل من خطر ؟

الجارية — هذا دعاء صالح يا سيدي يقال حتى للأسد ، وأنت ذلك الأسد . . . .

أبو مسلم — (يميل الخاطر لهذا الوصف الرمزي الذي ذكره المنجم فيلاقي خراسان) الأسد ! .

(فاصل موسيقي رمزية نصف دقيقة ما بين المنظر الثاني والمنظر الثالث)

المنظر الثالث

(يمثل قاعة الاستقبال في قصر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور بالهاشمية — بعد المنظر الثاني بوقت قصير ، قبيل الاصيل) .

أبو مسلم — السلام على مولاي أمير المؤمنين .

أبو جعفر — تقدم يا أبا مسلم ، ما لي أراك مضطرباً ؟ هلمَّ واجلس بقربي !

أبو مسلم — لقد نزع الجند سلاحي ، وهذا ما لم أتعوده من مولاي . . . .

أبو جعفر — لا تتكدر لذلك يا أبا مسلم ، فهذا نظام متبع في القصر دون استثناء منذ زمن طويل ، ولكنك بأعدتنا فلم تلحظه قبلاً . . . ومهما يكن من شيء فلن يطول بقاؤك هنا . .

أبو مسلم — (متوجساً شراً) لقد قطعت ورجالي الفراسخ الطويلة لأحظى بالمثول طويلاً بين يدي مولاي .

أبو جعفر — انك لم تقطعها طوعاً يا أبا مسلم ، بل نحن من جعلناك تقطعها اضطراراً بعد أن سددنا في وجهك جميع أبواب الهروب والخلاص ، بعد أن أنبتنا لك غرورك الكاذب وخيالك الفاضح — فقد ألبنا عليك منافسيك وأصدقائك ، وجعلنا وقراً في أذنك فلم تستمع إلى تحذير البصيرين من خلصائك الذين يعرفون أن الغدر لا يمكن أن يصفح عنه أبداً ، واشترينا من حضر معك من قواد . . . .

أبو مسلم — مولاي ! أهذا هو الأمان الذي قطع لي ؟ أيقال لي هذا بعد بلائي في خدمتكم جميعاً ؟ أيعاب عليّ حرصي على حياتي ولا يعاب الغدر بي ؟ من أي نبع هذا ؟ أمن الاسلام وهو الكريم المتسامح الذي لا يجزي الحسنة سيئة ، أم من الرجولة الفضلة واهون صفاتها المروءة وحفظ العهد ؟

أبو جعفر — صه يا لعين أتبكتني في داري وقد خرجت من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ، لقد نكثت بنا فحكمنا عليك لأنفسنا حكمك على غيرك لنا ، ولم تحدثنا رعاية الحق لك من إقامة الحق عليك ، إن ذنوبك لأكثر من أن تحصى ، وقد تصدت انتقاصنا بكل وسيلة شيطانية قدرت عليها .

أبو مسلم — لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتكم وما كان مني .. هون من غضبك يا مولاي ، ولا تحتّم الأمور فلن تكون الرابح ، إن حكم الله ثم حكم التاريخ فوق حكم الملوك . . . .

أبو جعفر — (ساخطاً) لو كانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها ، انما عملت ما عملت في دولتنا وبوحينا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت قتيلاً ، فلتذهب الى الجحيم . . .

(يمتقع أبو جعفر فيدخل أربعة من رجاله ظاهري السيوف ويضربون أبا مسلم فيصيح)

أبو مسلم — يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك . . . .

أبو جعفر — لا أبقاني الله إذن ، وأي عدو أعدى لي منك . . . (مخاطباً رجاله) اضربوا قطع الله أيديكم . . . . .

(تسمع ضربات السيوف)

أبو مسلم — (وقد خارت قواه) الرحمة يا مولاي . . . العفو . . . العفو . . . .

أبو جعفر — (متنبئاً) العفو وقد اعتورتك السيوف ؟ !

زعمت أن الدين لا يقتضى فاستوف بالكيل أبا مجرم !
سُقيت كأساً كنت تسقي بها أمرّ في الحلق من العلقم !

(يدخل عيسى بن موسى فيساءل عن أبي مسلم)

عيسى بن موسى — أين أبو مسلم ؟ لقد سبقني لأني تأخرت في الوضوء . . .

أبو جعفر — (لرجاله قريبة) — تعني أبا مجرم ! . . . ها هو ذاك في البساط ، وقريباً في دجلة ! . . . .

(موسيقى حزينة لمدة نصف دقيقة ختاماً للرواية)

باسم أمير المؤمنين

دراما شعرية في فصل واحد ذي منظرين

أهم شخصيات الرواية

الجارية صباح	العباس باسل
العباس ماجد	رئيس الحرس

(الوقت : غروب يوم صيفي سنة ٨٠٥ م — المكان : حرج النخيل بحيرة بغداد — المشهد : الجارية صباح وبعض الغلمان في رؤوس النخيل وهي تغني لهم بصوت حزين رثائي رمك ، فيقولون في آخر كل صوت : يا « مواليا » ! ، اشارة الى مواليهم . وقد قاموا الحرس على هذه الحالة .

المنظر الأول — في طريق النخيل

أصوات بعيدة — يا مواليّا يا مواليّا !

الجارية صباح (يسمع انشادها من بعد ضئيلاً) —

منازلٌ كنت فيها بعد بعدكمُ درسٌ خرابٌ ، لا القفرا تصلحهُ ، ولا القصرُ !

رئيس الحرس — أسمعت يا باسل ؟ — هلمّوا بنا !

(يسمع ولغ أقدام الحرس متجهين الى النخيل)

باسل — كأنه ترجيع إعوال لجنة منفرد — قد فقدت ملّوى لها ، ولم تزل محيّرة !

ماجد — لعلها تندب كأساً من شراب الشفق أو أنها هاذية من خمرة لم تفق !

رئيس الحرس — أتركا الهذيان ما عويل الجان
هذه الأشجانُ أو غناء ألحانُ
بل رثاء خانُ منْ يغنيه !

(يسمع الغناء مقترباً ، فينصت اليه الحرس)

الجارية صباح (تنشد) :

فأين يبينك تنظر كيف فيها القرس تحكم وألسنة المدّاح هنها خرس ؟

الغلمان المتجاوبون (منشدون) — يا مواليّنا! يا مواليّنا!

رئيس العسس — أبعد هذا تكابرون؟

استمعا! استمعا! — هذا نداء الخيانة

باسل (متعجبا) — وأي خيانة قادت بها الأطلال والسمر؟!

أفكر الفرس معتاد بلاء سوف يستمر؟!

ماجد — ألم تسمعا؟ تلك تجوى فتاة يجاوبها صبية منشدون؟

(مستهزأ) لعل الجميع بكروا للنهل فباتوا روائمه ينشدون!

وفيم التدخل في أمرهم وتعريضهم لخبيث الظنون؟!

رئيس العسس (متضجراً) — قد ضقت ذرعاً بكما!

باسل — (متعجبا) أعلينا اختراع الغريب للناس إذا ما خلوا من الأوزار؟!

ورئيس العسس (مستأنفا) — أيها الأبلهان! إنا ندبنا لاكتشاف الأذى وأهل الريبة

لا ليحمي الفساد من وهمنا!

باسل — الوهم هو الظن بالبريء الذنوبا — لا بنور رماك، ولا قاتم شغلنا

ماجد — . . . . حسبنا قبول المصيبة

عصفت بالكواكب الغر فينا، وأدالت معاقلاً وقلوبا

رئيس العسس — كفى هذيانا! فها قد وصلنا!

(إنهاء المنظر الاول، اذ يلج العسس حرج النخيل)

المنظر الثاني — عند حرج النخيل

الجارية صباح — (تغني في صوت متموج واضح نبرة أهلها الظاهر من وشوش النخيل)

منازلٌ، كنتَ فيها، بعد بعدكَ فرسٌ خرابٌ، لا للعزا تصلحُ، ولا للعرسِ!

فأين عينيك تنظرُ كيف فيها الفرسُ تحكّم، وألسنة المداحُ عنها خرس

الغلمان (منشدين) — يا مواليّنا! يا مواليّنا!

رئيس العسس — اهبطوا يا جبناء!

الجارية صباح — من أنت يا هذا؟ أتحكم في الورى حتى ولو سكنوا رؤوس نخيل؟!

إنا تركنا أرضكم لشروركم، فسلام قلبينا!

رئيس الحرس — . . . . . دعي تضليلي !
أمر الخليفة أن شلك قتلها حل ، وقد هتكت بكل وبيل !
أتروجين لآل برمك بعد ما فجروا ؟

الجارية صباح (ثائرة) — . . . . . خسئت وبئت أي ذليل !

رئيس الحرس — علمي إذا ما أنقذت الحياة لكي تطلبي العفو !

الجارية صباح — . . . . . لم آت ذنباً !
رثيت بشعر الوفاء الأبي موالي !

رئيس الحرس — رثيت الجريمة والمجرمين !

الجارية صباح — إنما المجرمون سادتك الغر الذين افتروا على الأعلام !
وأذلوا جباه من أنقذوهم وأطاحوا رأس الرئيس الهمام !
آه يا جعفر !

رئيس الحرس — . . الخيانة ليست غير هذا ، وقتلك الآن واجب !
فاسكتي واهبطي ، وإلا فاني ساعد !

الجارية صباح (متحدية) — . . . . . مرحباً ! تطلع وحارب !

الغلمان (يقودون) — يا مواليّا ! يا مواليّا !

باسل — هذه امرأة منكرة !

ماجد — فدعها وغلمانها !

رئيس الحرس — يمين الله لن أرضى !

باسل — فيم الحماسة هذه وأميرنا آس على ما كان من نكبات ؟ سأول بنا ضمد الجروح .

ماجد — . . . . أجل ، فا يجمي السلام بقسوة وثورات .

رئيس الحرس (ثائراً) — أقسمت أقطع رأسها إن لم تجيء لي صاغرة !

باسل وماجد (منكرين ما) — رثنا منك !

باسل — أما كفت صرعات أشعلت لهجاً وقسمت أمماً من بعد توحيد حتى تظل تبادي الناس ؟

ماجد — . . . . وهتيم ، كأنهم ضحايا في السفافيد !

الغلمان (ينشدون) — يا مواليّنا ! يا مواليّنا !

الجارية صباح (منحنية) خنجري من يدي يأتي طليقي ذرق السنة إن كنت شجاعاً

لست إلاّ رمز مهد فاسد كلما أسعى في سعف تداعى !

رئيس الحرس — سأريك الموت ألوانا ! (يسمع صوت الضرب على الطبلة)

باسل — حذار ! فان خنجرها لسم

ماجد — . . . . . وهي لا تخشى !

رئيس الحرس — وباسم أمير المؤمنين أصيبها !

الجارية صباح — ليسعدني طعن الضلال بصدرها

وهيهات أن تلقى لدى الحق مطمعا !

حذار إذن ! والتقد الحق مدركا !

رئيس الحرس — . . . . خذي ضربتي ما دام حقك من جنى !

(تدفع بضربتها خنجره فيسقط من يده الى الارض ويسمع صوت سقوطه)

الجارية صباح — تحت رحمتي الآن أنت ، لكنني أعفّ عنك !

رئيس الحرس (محاولا أن يرفع اليها يديه) — باسم أمير المؤمنين بداي تكفيان !

الجارية صباح — خذها إذن فهلاء باسم الحق وحده !

(تطعنه في صدره دفعاً من نفسها ، فيسقط من أعلى الشرفة وهو يصيح الى أن يقع على الارض ميتا)

رئيس الحرس — آه ! آه !

(في ذعر وهو يسقط الى الارض)

الغلمان (في نشوة الانتظام) — يا مواليّنا ! يا مواليّنا !

(يختفي الصوت عند الختام مع الدوي)

(يعقد الانشاد ثم يتلاشى مع موسيقى ملائمة)

[النهاية]

أكبر خان

مأساة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الملك أكبر خان	الشاعر فيضي
مظفر خان ـ وزير مالية أكبر	دانايول ـ هندوسي أعوس
الفيلسوف أبو الفضل	صادوم ـ رئيس حراس الملك أكبر

أنديرا — حبيبة دانايول

المنظر الأول

(غرفة الحريم ينزل دانايول سلماً وهو يزوع أوض الغرفة جيئة وذهاباً بينما حبيبته إنديرا تحاول تهدئته)

دانايول – إذن أنت متعلّقة حتى يا إنديرا ، بل متعلّقة من تراث الآباء والأجداد ، بل من ديننا المقدس — أنت يا من كانت شعلة الوطنية تنبعث من ألفاظها النورانية المتأججة ، أنت يا من طالما نظر إليها بوذا من ملكوته بتشفف وفخر وتقديس ، — أنت ، أنت ....

إنديرا — كفى ، كفى ، يا دادا .... أكذا يتطاير الحديد الصلب حتى ليكاد باستمراره يفقد كيانه .... أبوذا يرى بوذا ، كما تقول ، وتنكرني أنت ... ؟

دانايول — ماذا يعجبك في هذا الدخيل ؟ إن الجمعية اعتمدت عليّ ، وأنا أعتمد عليك ... لست أنا الذي يعن أمة تضحية ، ولكني أضمن نجاح مؤامرتنا إذ تفشل .... ليست البطولة في الاقدام ، ولكن البطولة في النجاح .... أنت أعز عليّ من نفسي يا إنديرا ، ولكن وحي بوذا الذي أظل علينا بعد ابتهالنا الأخير لم يدع لحميتنا مناصاً من هذا القرار الحاسم .

(تبكي انديرا)

ما هذا البكاء يا ابنة الكنج ؟ أتحسبين أني من يعرّضك للمخاطر غافلاً ؟ لقد ابتهلت

ليلة أمس الى بوذا ليرشدني فأوحى اليّ أن أصمد عليك ، لانك شجاعة وزينة تملكين أعصابك فتطيعك ولا اطاعة لعبد سيده :

أنت لولاك ما خلقتُ ، فربي ... عالمٌ أنني بدونك لغوُ
يا نشيدي ، بل يا مزامير (بوذا) ... أيُّ حبر إذا بسوؤك حبرُ ؟
لا تخافي ... فلن يمسك ضرٌّ ... وسيبلو النجاح فجرٌ وصفوُ ؟

(تكفكف انديرا دمعها وتخف من بكائها)

إندرا — أنت واهم يا دانا ، فلم أكن يوماً بالجبانة طبعاً ، ولكنّ الحب جبانة ... إني لا أبالي بحياتي يا معبودي ، ولكني أخشى الفشل فأجني عليك وعلى قضيتي ... إن الحياة جميلة بك يا دانا ، ولا أريد أن أمت دونك ولا معك .... أطلب الحياة من أجلك — من أجلك وحدك يا حبيبي وتطاول علي أكبر خان بل قتله هو الموت المحقق لي ولك .

دانايول — هذا لن يكون وقد حلت ببوذا بيارك ....

انديرا — ولكنك لم تحلم بالحب مباركا هذه الجريمة ....

دانايول — أية « جريمة » يا انديرا .. ؟ إن هذا لهذيان منك بل كفر وتجديف ... أيكون القربان لبوذا جريمة ؟

انديرا — بوذا هو الحب ، والحب مكتوب على جبيني ، واسمه في الارض والسماء . انه لم يوح اليّ مرة بغير الرفق والتسامح يا دانا ...

دانايول — أجننت يا إنديرا ؟ .... ان أنفاس (أكبر) لتدنس هواء الوطن ، وظله ليدنس أرضه :

عارٌ على الوطن العظيم بأهله ... أن يرتضي حكامه الغرباء

أنسيت يا انديرا كيف يطأطىء كهنتنا الأجلاء الرؤوس له ، وكان الاولى به أن يتبارك بتقديم منزلتهم بل بلثم أقدامهم ؟ أرضيك هذه الجوامع تقام بدل هياكل (بوذا) النورانية . اذا تدنس أصل التربة فكل نبت دنس . أنت قديسة يا انديرا ، ومثلك مسؤول قبل الناس عن تطهير الوطن من هذا الدنس . ان النور — لا الظلمة — موكل بالنقاء والطهارة واذا غفلت الظلال ونامت فما يجوز للاشعة أن تنام ....

انديرا — تبارك بوذا في ملكوته !

داناپرا — وتباركت أنت من نورانيته وجماله ! . . . ليبق لك اتقانك دائماً قوة ورجاء إن (هارنوم) رئيس الحراس صديقي ، وسأوصيه بك خيراً ليمهد لك لقاء ذلك الطاغية اللعين فيتلقى من يدك الطاهرة القاضية . . . اعتمدي على (هارنوم) فانه يحبني ولا يخيب لي رجاء . أجل ، اعتمدي على (هارنوم) .

(تسمع طرقات على الباب فتنتفض اندرا خوفاً)

إندرا — (بصوت خافت) من ترى ؟ لقد كشفنا . لقد كشفنا .

(تتجدد الطرقات)

داناپول مؤنبا بصوت خافت ، تمالكي عن روعك .

داناپول — (بصوت مرتفع) من الطارق ؟

هارنوم — ألا تزال تحلم يا صاحبي ، أنفض الكرى من عينك فتعرف صديقك الحميم !

داناپول (مخاطباً اندرا بصوت خافت) هذا هارنوم فاطمئني !

(بصوت مرتفع مجيبا الطارق) — أهلاً بالحبيب الأعز . أدخل يا هارنوم فالابواب ليست إلاّ . .

(يدخل هارنوم)

هارنوم — سلام يا صديقي الأعز . ومن هذه الزهرة الفوّاحة ؟

داناپول — هذه خطيبتي إندرا .

هارنوم — يومي سعيد يا آنسة بلقائك .

إندرا — الحظ حظي أنا يا سيدي .

هارنوم — لماذا لا تخفض من صوتك يا صاحبي ؟ سمعت اسمي يردد على لسانك . فأية « مؤامرة » تريد أن تزج بي فيها ؟

اندرا (واجفة) — مؤامرة ؟ ! .

هارنوم (ضاحكا) هذا مزاحي يا آنستي مع صديق (دانا) ، فاني أعلم أنه لا يذكرني إلاّ بالخير .

داناپول — « مؤامرتي » يا أخي هي لصحي (اندرا) أن تقصدك لتمهد لها لقاء جلالة الملك .

هارتوم — وهل لديها خلامة ؟

دانابول — نعم ، ولكنها خلامة صغيرة ، لا خاصة بها وحدها .

هارتوم — وهل لي أن أعرف ما هي ، فقد أوفر عليها العناء وأحفق لها بغيتها من أصوات السبل .

انديرا — إن شكواي خاصة بالخدمة العامة الواجبة لربنا (بوذا) تبارك وتعالى !

دانابول وهارتوم (في وقت واحد) — تبارك وتعالى !

انديرا — ولذلك أوثر احتراماً للرب المقدس أن أحتفظ بسر مهمتي حتى أتشرف بالمثول بين يدي جلالة الملك .

هارتوم — كما تشائين يا آنستي ! كل ما عليك إذن الحضور الى مكتبي في القصر الملكي عند الغروب فتشرق شمسك فيه . ولا ريب أن جلالة الملك سيبهره حسنك الفريد

إنديرا — هذا تلطف منك يا سيدي كما يشفق الندى على العشب .

هارتوم — بل هو تلطف الزهرة التي تضيف الندى .

إنديرا (وهي تهم بالخروج) — استأذن للانصراف حتى أستريح وأهيء أعصابي لمهمتي الخطيرة في هذا المساء .

دانابول وهارتوم (في وقت واحد) — على بركة (بوذا) وفي حفظه .

(ينتهي المنظر الاول وهي خارجة)

٥

المنظر الثاني

تكتب هارتوم وقيس حراس الملك أكبر عند مدخل القصر الملكي وقد جلس معه صديقه مظفر خان وزير المالية وهما يتحدثان في شؤون الدولة

هارتوم — هذا — لا ريب — نبأ سار .

مظفر خان — (ملتفتاً نحو الباب) من هذه الحسناء الواقفة بالباب ؟

هارتوم — هذه خطيبة صديق عزيز ، ولها حاجة عند صاحب الجلالة . وإني

لأستأذنك يا صديقي في دخولها .

مظفر خان — بكل ترحيب

هارنوم — أدخلي يا إندرا واستريحي معنا قليلاً

إندرا — شكراً يا سيدي !

هارنوم — مالك منطربة يا إندرا ؟ ! . إن جلالة الملك آية في التواضع وسعة شعبه فلا تتهيبي لقاءه ، وستحبين من صديقي صاحب السعادة مظفر خان وزير المالية آيات من عظمة جلالته ، فقد كان يحدثني عن ذلك منذ لحظة .

مظفر خان — نعم ، نعم . إن مولاي صاحب الجلالة يقصر مجلسه على العاملين النافعين من وزراء وغيرهم ، ويقرب إليه أهل العلم والأدب ، وحديثه متعة الألباب لأنه ينمّ عن ذكاء خارق وخبرة فاضحة . وهو أبعد الناس عن الأنانية وعن الملذات الرخيصة ، وحتى طعامه مقصور على وجبة في اليوم . ويكفي برهاناً على ذهنه الوقاد اختراعه البندقية ألبوبة الحديد التي لا تنفجر . أما سياسته الحكيمة فهي غنية عن التعريف .

إندرا — لقد شرفت يا سيدي بالاستماع الى حديثك ، وأنا لا أفهم شيئاً في السياسة مطلقاً ، فهل تسمح لي رغماً عن قصوري وعجزي أن أسألك ما الذي صنعه جلالة الملك المسلم لرعاياه الهندوس ، ثم أية حرمة أسبغت ترعى لبوذا تباركه وتعالى ؟

مظفر خان — في مقدمة ما أمر مولاي الملك يا بنيتي نحو طائفتك الكبيرة أنه ألغى الجزية عن الهندوس وقد تشبث بها سابقوه ، ومنع زواج الأطفال واشترط رضى الزوجة والزوج لصحة الزواج ، وحرّم حرق الأرامل وأباح زواجهن ، واحترم عقائد الناس جميعاً ، وأنشأ بيت الحكمة الذي يجتمع فيه أئمة الدين جميعاً وفي مقدمتهم أئمة البوذية . أما ما صنعه للمملكة عامة فأمنه على الحرية الشخصية حتى مع المتهم الذي يحقق معه ، فقد حرم تعذيبه للاعتراف . وبلغ من حب مولاي الملك العدالة أنه أمر بتعليق الناقوس المشهور أمام القصر فيدقه أي متظلم فيستقبله جلالته بنفسه ، وينظر في شكواه فوراً . وهكذا ترين أنك في غنى عن وساطة هارنوم ، أو وساطتي ، أو وساطة أي كائن عدا هذا الجرس ، إذا شئت التظلم الى مولانا الملك . فما هي ظلامتك ؟

هارنوم — تقول إنها لا تخصها بل تخص الهندوس عامة ، أو على الأصح تخص معبودها (بوذا) . هذا ما فهمته منها . كذلك فهمت أنها تحتفظ بسر ظلامتها حتى تعرضها

على جلالة الملك

مظفر خان — إن مولانا الملك يحترم تعاليم (بوذا) كما تدل على ذلك مناقشات (دار الحكمة) وقد أزال جميع الفوارق بين الهندوس والمسلمين حتى في الضرائب ، وفتح الملكية الزراعية للفلاحين ومعظمهم من أتباع (بوذا) وأبى ألا أن ترفع الشكاوى الى جلالته رأساً . ومبدؤه أن تحكم الهند لمصلحة الهند ، وأن ترعى مصلحة الشعب أولاً وأخيراً باعتبار أن الحكومة أداة لمشيئة الشعب نفسه . ويوسفي مدير بيت المال أعرف كل هذا معرفة اليقين . فهل لا تزال في ضميرك شكوى بعد هذا البيان ؟

إندرا — (في مزيج من الخجل) يا سيدي إن بنفسي شكوى خطيرة زادها هذا البيان اشتعالاً ، كما زادني طاقة على احتمالها . ولا بدّ لي من دفعها للملك !

مظفر خان — كما تشائين يا بنيتي ، وذلك أن تستدعي هارتوم إن أردت .

إندرا — لست بحاجة إلى هارتوم الآن !

مظفر خان إذن أشير عليك بالانتظار برهة فان بحضرة جلالته الفيلسوف العالم أبا الفضل رئيس (بيت الحكمة) ، وكذلك الشاعر الكبير فيضي ، وهذا وقت راحة لجلالته بعد انكبابه طول النهار على العمل لخير الشعب وحده ، على الرغم من كثرة وزرائه .

اندرا — سأنتظر ، فالانتظار صديق الانسان إذا لم يعقبه التحذير فالموت . وسأترك لك يا سيدي تحديد « برهة » الانتظار .

نعم سأنتظر ، فقد عاش قومي على الانتظار !

(انتهى المنظر الثاني ويليه المنظر الثالث)

المنظر الثالث

في بهو الاستقبال بقصر الملك وقد وقف الشاعر فيضي يتحدث بين يدي الملك أكبر وجلس بجانبه الفيلسوف أبو الفضل

الشاعر فيضي — قد ملكت القلوب بالعدل فينا أين هذا من حكم جات وجان

(متابعاً انشاده) « والمساواة لم تكن قبل إلا نزوة ، تافتدت حل الأديان

رضي الله والنبيون جمعاً كرضى العلم والحجا والبيان

ما نشيدي حين الطبيعة غنت بالمعاني وعبّرت عن جناني؟
حين روح السلام والحب شكرا ن هنيٌّ ، وخالد في الزمان ؟

(يسمع قرع ناقوس ، فيتوقف الشاعر عن الانشاد)

الملك أكبر — اصبح يا (أبا الفضل) الشاكي بالمثول ، ولو أذ انوقت ليل .

أبو الفضل — سمعاً وطاعة يا مولاي . كدت أقول لأخي فيظي : « أحسنت وقصرت في آن » ، وها هي مناجاتك يا مولاي تزيد حكمي ، فقد جددت عهد الفاروق كما أصغوحيث روح الرسول الكريم .

(يتجه أبو الفضل الى باب القصر لتبين الشاكي)

الملك أكبر — أحسنت بفنك يا (فيظي) ، ويا ليتني أنجح في تحقيق ما تصبو إليه فاستحق حينئذ ثناءك . سنستمع الى قصيدتك كاملة في (دار الحكمة) حيث يوجد ملوك الفن والكلام ، وحيث أكون من رعاياهم .

الشاعر فيظي — عفواً يا مولاي ، وان يكن تواضعك حلية تاجك الوضاء !

أبو الفضل — هذه فتاة تلتمس يا مولاي المثول بين يديك !

الملك أكبر — تقدمي يا بنيّة !

(تتقدم الدير ا نحو الملك واجفة ، ويسمع صوت تجريد مديتها)

أبو الفضل وفيظي — (صارخين ، هاجمين عليها) — أجنونة أنت !

الملك أكبر — دعاها تطعني إذا شاءت ، فأني لأرتضي أن أكون قرباناً لسنان جلسها بعد أن حررتهن لأول مرة في التاريخ !

انديرا — لن أمس الملك الصالح العادل بسوء ، وإنما أضع هذه المدية عند قدميه وأقبله رمزاً لتكفيري وايماني . . . . وإني حينما أضع هذه المدية أضحي بأغلى شيء لنفسي وهو الحب وأحكم على نفسي بالفناء .

الملك أكبر — انهضي يا بنيتي ! فقد حكمت لنفسك بالحياة ، وحكمت لأمتك بالخلود . إني لن أسألك أي سؤال ، وأحمد الله على أن المرأة في أمتي هي رسولة الايمان بعد الكفران ، والأمينة على الاصلاح والحرية . (انهضي يا بنيتي انهضي) !

[تمت الدرامة]

الطائر الطليق

دراسة تاريخية في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

ابن سينا الفيلسوف
أبو عبد الله المعصومي — تلميذ ابن سينا

محمد بن عطاء — الشاعر
بثينة — إحدى معشوقاته

شرطيان

المنظر الأول

(في الطريق العام - يسمع وقع أقدام شرطيين في منتصف النهار)

الشرطي الأول — هذه مشكلة يا زميلي .... لقد انتصف النهار أو كاد ، وها نحن قد أتينا بخمسين ، فماذا نقول للأمير ؟

الشرطي الثاني — إن الدار خاوية ، وخلوها يدل على مؤامرة مبيتة لاختفائه واختفاء خادمه معاً .

الشرطي الأول — صدقت فاني لم أهتد الى سكن خادمه أيضاً .

الشرطي الثاني — والأعجب من هذا أنه لا يوجد دليل على هروبهما من المدينة ، كما لا يوجد أي دليل على بقائهما ، فكأنهما لم يخلقا !

الشرطي الأول — أنا أعجب الأعجب في رأيي فهو أن يشغل مولانا الأمير إن هذا الحد بهؤلاء المجانين الذين يسمونهم « الفلاسفة » !

الشرطي الثاني — أنظر يا صاحبي ! لعلنا أمام معجزة ؟ أليس هذا ابن سينا وخادمه متجهين إلينا ؟

الشرطي الأول — أشرطي وبصور ؟ ألا ترى يا صاح أن هذين رجل وامرأة — والرجل أبعد ما يكون صورة عن ابن سينا ؟ ثم ألا تراهما كأنهما يتشاجران ؟ فهل هذا

شأن من يريد التخفي والهروب ؟ أم تظن هذا طرازاً جديداً من التصنع للتمية ؟!

(تسير أمام محمد بن عطاء وبثينة قادمين وهي تخاطبه محتدة)

بثينة — من هذه « الورقاء » يا خائن ؟ هلمّ معي إلى الرئيس ليؤدبك ، وإلاّ أدبتك أنا !

الشرطي الأول — ماذا جرى يا امرأة ؟ ومن هو الرئيس الذي تتحدثين عنه ؟

بثينة — إني أشكو محمد بن عطاء خطيبي الخائن ، وسأقوده رغم أنفه إلى دار أستاذه ابن سينا .

الشرطيان (مندهشين) — ابن سينا ! ! وأين هو ؟

بثينة — في داره طبعاً . فهل طارت الدار ؟

الشرطي الأول — بل طار هو !

بثينة — لماذا تسألان ؟

الشرطي الأول — مولانا الأمير يطلبه وقد عجزنا عن الاهتداء إليه . . . يخيل إليّ أن عليك البحث عن ابن سينا آخر ليكون قاضي الغرام (يضحك ويمضي)

الشرطي الثاني — أشك في توفيقها إلى ذلك لأنه لم يبق حتى الرئيس في هذا النوع من الفلسفة . . . هو قاضي الغرام ، وأستاذ الغرام ، وآكل الغرام ومشتاريه ! (يضحك ويمضي)

الشرطي الأول — ولكن لماذا لا نحكم نحن ، وقد أصبحنا أو أوشكنا أن نصبح من الخبيرين ! (يضحك ويمضي) .

م ؟ تشكين يا إمرأة ؟

بثينة — سمعته يا سيدي يغني في الطريق :

هبطتُ إليك من المحل الأرفع ورقاء ذاتُ تدلل وتمنع !

فلما تطلعت وجدته يغازل فتاة كانت تطل من نافذة . ولما كشفت حيلته ، حاول التخلص منه ، مدعياً أنه إنما كان يمجد الله سبحانه وتعالى . . . .

الشرطيان (مقاطعين) ها ! ها ! ها !

بثينة — وأن « الورقاء » ما هي إلا النفس ، وأن هذا هو الرمز الذي استعمله أستاذه ابن سينا ، ويظهر أنه خليع منه يلعب بالألفاظ كما يلعب بالعذارى . . . .

الشرطيان (مقاطعين) — ها . ها . ها

الشرطي الأول — عليك يا امرأة أن تمسكي بتلابيبه ، وإلاّ طار منك إلى عزبته « الورقاء » كما طار ابن سينا رضي الله عنه . . . . (يقهقه الشرطيان)

ابن عطاء — هل للمخرس أن ينطق بلغتكم الآن ؟ (يقهقه الشرطيان)

الشرطي الأول — وورقاء ذات تدلل . . . . هبطت إليك ! (يقهقه الشرطيان)

المنظر الثاني

(بعد الفروغ من إقامة التدريس بدار أبي عبد الله المعصومي وقد اجتمع سفرة من طلبته تلبية لدعوته ، وقبيل وقت الدرس دخل ابن عطاء وبثينة) .

ابن عطاء (مخاطباً أستاذه المعصومي) — لقد اضطررت على الحضور يا سيدي ، واني لضمين لها ، فكن مطمئناً ولا تغضب عليّ . . . . اجل ، اني لضمين لها . . . . .

المعصومي — هل قدرت غاية هذا الاجتماع ؟

ابن عطاء — اجل يا سيدي ، وهي اهل لكل ثقة بها ، ما دمت اهلاً لثقتكم بي وبعد ، فأنت من قال الرئيس عنه : « هو بمنزلة أرسطو من أفلاطن » فدعنا نغترف من علمك ونصحك وإرشادك .

المعصومي — حسناً ! اجلسا في ناحية مع اخوانكما .

(يسمع صوت جلوسهما)

ابن عطاء — شكراً لكرمك يا سيدي .

(ثم مخاطباً بثينة في همس) — ستسمعين بعد لحظة حديث أستاذنا العلامة ، وستدرين أنك كنت على ضلال في مزاحمتك عني وعن الرئيس .

بثينة (عابسة) — سنرى . ومع ذلك فضاؤك للورقاء لم يبارح أذني !

ابن عطاء (هامساً) — كرهت إليّ والله الغناء والورقاء ، وأخشى أن تكرهي إلي الفلسفة إن لم ترجعي عن هذا الغي . والآن صهاً ، فها هو الأستاذ موشك أن يتحدث .

المنصوري (لحاشية الحاضرين) — السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد ، فقد دعوتكم لسماع خطابي عن الرئيس في مناسبة خطيرة ستعرفونها وأنتم صفوة تلاميذه وأصحابه والمؤتمنون على أسراره . ومن هو الشيخ الرئيس ابن سينا ؟ أأنتم بحاجة الى تعريف ؟ كلا ثم كلا ، ولكني أذكّر فالذكرى تنفع المؤمنين .

إن الشيخ الرئيس هو أوحدي عصرنا بل جميع العصور ، فلا عجب إذا بذل الأمراء ما بذلوه لاجتذابه إليهم ، ولا عجب أيضاً اذا هو فر منهم وقرر الفرار من كركانج .

أصوات (في دهشة) — الفرار ؟ !

المنصوري — نعم الفرار . فان اضطهاد رجال الفكر والفلسفة هو الشائع في هذا الأوان وما هم جميعاً الا تلاميذ الرئيس ، فالاساءة اليهم اساءة إليه :

ولا يقيمُ على ضيمٍ يرادُ به إلاّ الأذلان : غير الحيّ والوتد !

والحفاوة الظاهرة لا قيمة لها إذا كان يستتر خلفها الاضطهاد الفكري . ولو عرفنا قيم الرجال لحبأنا الرئيس في عيوننا .

أين سواه ذلك العبقري الذي أتمّ دراسة اللغة والأدب وهو في سن العاشرة ؟ . وأين غيره الذي ألمّ بكل معارف عصرنا هذا الالمام العجيب ، وتبحّر هذا التبحر الفذ في الأدبين العربي والفارسي فأتحف العربية بهذا الشعر العامر كما أتحف الفارسية برباعياته الشائقة ؟ أين سواه من علم نفسه بنفسه الطب كما صنع الرئيس ثم أظهر هذه الأهلية الفذة في العلاج وفي التأليف حتى صار « قانون » المرجع الطبي الأعلى في جميع الأقطار ؟ أين ذلك الفيلسوف الذي أخرج من التصانيف أمثال « الشفاء » و « الاشارات » و « النجاة » التي حلت محل كتب أرسطو ؟ أين ذلك المتصوف الذي أبدع مثل ما أبدع الرئيس من الآراء في النفس والالهيات والعقل وفي تعليقاته على كتاب النفس لأرسطو ؟ إن الشيخ الرئيس هو أول من خالف القدماء الذين كانوا يعتمدون على المنطق وحده في البرهنة على لامادية النفس ومباينتها للجسم ، وهو أول من لجأ الى التجربة النفسية فقال فيما قال : « لتتصور انساناً خلق محجوب البصر لا يرى من اهابه شيئاً ، متباعد الأطراف لا يلمس جزء من جسمه جزءاً آخر ، يهوي في خلاء لا يصدمه فيه قوام الهواء حتى لا يحس ولا يسمع ، أليس يتغفل مثل هذا الانسان عن جملة بدنه ؟ أليس يشعر بشيء واحد فقط هو ثبوت نفسه ؟ « فالنفس اذن موجودة وجوداً غير بدني » .

أين من فكّر فيه ذلك التفكير العالي في تحديد مسألة « الوجود » بماهيات الأشياء ، فرأى أن هناك من الأشياء ما لا يؤخذ في حده معنى الوجود ، كالمثلث مثلاً ، فإنا نتمثله خطًّا وسطحاً ولا نتمثله موجوداً ؟ مثل هذا الشيء وجوده زائد على ماهيته ، عارض عليها ، وهو يحتاج في وجوده الى علة . أين سواه من غالف أرسطو في رأيه أن العالم قديم قدم الله وهو ما لا يتفق ونزعة المسلم الى التوحيد — فجعل شيخنا الرئيس لله سبحانه وتعالى متقدماً على أفعاله القديمة « بالذات » لا بالزمان ، والزمان نفسه — مع أنه قديم — مخلوق أيضاً ، تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر . وقد فاض العالم عن الله بمحض ارادته ، لا عن حاجة الى ذلك ؟ وإله أرسطو لا يعقل . الا ذاته ، وهو مشغول بها عما عداها . وأما شيخنا فيؤمن ويبشر بأن الله جلت عظمته لا يعقل ذاته فقط ، بل يعقل الماهية الكلية كما يدرك الجزئيات ، ولكن من حيث هي كلية فلا يذهب عنه مثقال ذرة . ويرجع ادراكه للجزئيات الى علمه بعللها ومبادئها ، كما يرجع ادراك الفلكي كل كسوف جزئي الى علمه بالحركات السماوية علماً كليًّا . ثم تأملوا فلسفة التفاؤل الجميلة لشيخنا الرئيس ؟ انه يرى ان عناية الله تحيط بكل شيء . وهو يعرّف العناية بقوله « انها إحاطة علم الأول بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . فعلم الاول بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير في الكل » . وهو يرى أن عالمنا يغلب خيره ، على شره ، والشر الطفيف المحدود محصور في الاشخاص دون الانواع ، ولا يصيبهم دائماً بل أحياناً ، فعالمنا أفضل العوالم الممكنة .

أيها الاخوان — لا أريد أن أكون أنانياً مستأثراً بوقتكم ، فمن رغب منكم في أن يتحدث في هذه المناسبة الخطيرة عن مآثر شيخنا العالية فإني أرحب برغبته . وبعد صلاة العشاء سأختار أحدكم ليصحب شيخنا الرئيس في سفره ، حتى يدرأ الأذى عنه .

ابن عطاء — ليس لي من تعقيب يا سيدي سوى الشكر الذي يسهم فيه زملائي جميعاً ، فمفاوتك بعد أستاذنا الفكري وسهرك على سلامته من مكر السلطان وبطشه لها القدوة لنا ، ولكن ثق بأننا في الوفاء أنداد . وعلى ذلك فلا تفكر في الاختيار ، فكلنا سواء في حب خدمته وافتدائه ، وأينا قادر على ذلك .

صدقت يا سيدي ولم نبالغ مطلقاً في تنويهك بقدره العظيم . وحسبي أن أقول إن الأجيال اللاحقة ستسخر من زمننا الذي يرغم فيه شيخنا الرئيس على الفرار من وجه الطغاة . وأمن أجل المصنف الموسوعي مثله ، والجهد الفعل الذي احتفظ لشخصيته

واستقلاله كما احتفظ شيخنا الرئيس على الرغم من أعاصير السياسة وتقلباتها ؟ وأين من يزه بل حاكاه جاداً في البحث والدراسة العلمية والفلسفية حتى لم يفته علم تشريح الانسان ؟ وأين من أرضى العلم والاسلام قبله بمثل تعليله نشوء الأكوان المختلفة التي لم يعتبرها صادرة عن الله مباشرة ، إذ أن الوحدة المطلقة لا تصدر عنها إلا وحدة ، وانما اعتبر مصدرها معركة الدوائر الناجمة عن الدائرة الأولى التي تحيط بالكائن الفرد ؟ أين أين من له هذا العقل الجبار النير الذي يبهر العقول بتسلسل تفكيره الملهم ، فاذا بنا نادى بأزلية الوجود نسبها الى أن هذه الأزلية تختلف عن أزلية الله بأن لها سبباً خاصاً وقائماً بها ، وهذا السبب لا يقع في الزمان ، أما الله فأزلي الوجود بذاته ؟ وأين أين من يملك ذهنه وضع أمثال هذه التصانيف التي لا حصر لها في الطب والمنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة وفي حكمه الاشراقية ونظراته وتفاسيره الشرعية وفي علوم ومعارف لا تستقصى ؟ . إنا نشكرك من أعماق قلوبنا يا سيدي ، وننتظر إشارتك !

المعصومي — إن الرئيس متوار في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الورّاق يطوف البلدة . أما « الرفيق » فإني متنازل عن حق اختياره ثقة مني بكم جميعاً ، فلتختاروه أنتم من بينكم . وأما كلمة السر فهي كلمة الحق أيضاً ، هي « الله أكبر » .

أصوات — الله أكبر !

المنظر الثالث

(بعد المشاء في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الوراق بطرف كركانج ، وقد توارى فيه الشيخ الرئيس ابن سينا ، ومعه بعض متاعه) .

بثينة — (في صوت منخفض وقد اقتربت من باب الكوخ) — الله أكبر !

ابن سينا — (في صوت منخفض كذلك) — الله أكبر . انتظر قليلاً أيها الصديق . هل الطريق مأمونة ؟

بثينة — (خافضة صوتها) — نعم يا سيدي ، وان وجب علينا الحذر ، كما يجب علينا الاسراع فالشرطة جادون في البحث عنك .

(يخرج ابن سينا من الكوخ ومعه خرج فيه متاعه)

ابن سينا — (دهشاً) — امرأة .

بثينة — أجل يا سيدي لقد اختارني حواريوك لصحبتك بعد أن أفحمتهم بحكمة هذا المساء .

ابن سينا — ولكن هذه مجازفة كبيرة وتعرض منك للخطر .

بثينة — لا تصغرني يا سيدي بعد أن آمنت بك ، وأنت بعقلك الكبير من يأبى تميز الرجل على المرأة اذا ساوته عقلاً وكفاية .

ابن سينا — أحمد الله على أن تعاليمي خلقت مثل هذه الثورة ، ولو أني الليلة هارب طريد .

بثينة — سأرافقك يا سيدي كأختك ، وبذلك أدرأ عنك الشبهات . فهلم بنا نبدأ رحلتنا .

(يبدآن بالسير فيسمعان لغطاً مقبلاً عليهما)

بثينة — (خافضة صوتها) هلم نختبىء في هذا الحقل حتى يبتعد هذان القادمان

(يختبآن بينما يقبل شرطيان ويشرفان على سيرهما متعجبين)

الشرطي الأول — لعلك اقتنعت بعد كل هذا البحث والسؤال والتنقيب بأن ابن سينا لا يزال في كركانج ، ولا ادري لماذا كل هذا الاهتمام به وهو علم الناس أزوال « الورقاء » من الحمل الأرقم ؟ (يبتعد الصوت تدريجياً)

ها . ها . ها . ها . ها . ها .

الشرطي الثاني — لعلنا حينما نرجع نجد « الورقاء » الأخرى لا تزال ماسكة بتلابيب صاحبها حتى يثوب عن « ورقاء الحمل الأرقم » !

الشرطيان — (يضحكان معاً ويبتعدان في الاتجاه) : —

ها . ها . ها . ها . ها . ها .

[انتهت الرواية]

حارس البستان

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

سيف الدولة	الشيخ حرقوش	ضريران مرتزقان
الفارابي	الشيخ صعتر	
الشيخ مجاهد صاحب البستان	قينة	

المنظر الأول

(بستان فاكهة في ضاحية المدينة حلب يعهد سيف الدولة في القرن العاشر الميلادي ، والوقت غروب ، والمشهد يبدأ بدخول ضريرين مرتزقين لاستيفاء الى البستان) .

الشيخ صعتر (ضرير مرتزق) — إحم . إحم . ما الذي تلوكه يا أستاذ ؟ ألم تعدني بإطلاعي مقدماً على مشروعاتك ؟

الشيخ حرقوش (ضرير مرتزق) — إحم . — هذا يا ولدي فستق ، لا يصلح لك !

صعتر — فستق . وهل نسيت أنه مكروه للمسنين مثلك ؟ ثم هل نسيت أننا اتفقنا أمام الشيخ مجاهد صاحب البستان على الصراحة والتعاون ! ألا تخاف على بقية أسنانك وأنت شيخ مسن ! ألا .

حرقوش (مغاظاً) — « مسنٌّ » أتكررها يا صعتر ولا تستحي وأنا ابن السبعين ؟

صعتر — (مغاظاً) السبعين ؟ ألم تقل أمس الثمانين ؟ من يدريني وأنا كفيف انك لم تتجاوز المائة ، ومع ذلك تستحل نهب الفستق ؟ هذا فجور يا حرقوش ؟ هذا.

حرقوش — (مغاظاً) فجور ! أكل الفستق وطيبات الله فجور !

صعتر — لا تؤاخذني فإني خائف عليك أكثر من خوفي على نصيبي . ألم تسمع عن كتاب (إيثار البندق على الفستق) لوليّ الله . لوليّ الله نسيت اسمه ! والمهم منه تحريم الفستق على الشيوخ لضرره البالغ بهضمهم .

حرقوش — سمعت عنه يا ولدي ، لأني أنا مؤلفه فقد أمليته في صباي .

صعتر — مؤلفه

حرقوش — نعم يا ولدي . هذه إحدى زلات الشباب كالنزل والنسيب ، لأني كنت وما زلت جدّ مولع بالفستق فخشيت منافسة الشيوخ حينئذ . أما الآن فأود إملاء كتاب آخر بعد تجاربي الطويلة التي أقنعتني بأن ضرره للهضم يصيب من دون السبعين من الفتيان والأطفال .

صعتر — وما هو حدّ الطفولة عندك ؟

حرقوش — إحم .. بالنسبة للفستق الى الخامسة والاربعين ، وبالنسبة للاجاص الى الاربعين ، وبالنسبة الى التوت . (يسمع لغط متصاعد خلفه)

صعتر (مقاطعاً) سه . فلسنا وحدنا . أتريد فضيحتنا من أجل فستق واجاص وتوت ؟ . ألا تستحي أيها المتصابي من عهد نوح ؟ .

حرقوش — متصاب ؟ نوح ؟ أجننت من أكل التفاح يا ولد ؟ . أجننت .

(تقترب الاصوات ووقع الاقدام)

صعتر — اخرس ، وهلمّ نتوار خلف هذه الشجيرات المتشابكة بعيدين عن الطريق (مغضباً صوته) حتى نسمع ولا نرى . فربما كان هناك نبأ يهمنا . اصمت يا حرقوش .

(يسمع المتكلمان المقتربان بجلاء)

الفارابي — أيرضيك هذا التفسير يا صاحبي ؟

مجاهد — اجل يا سيدي ، ولقد وجدت كتابك (آراء اهل المدينة الفاضلة) كله خيراً وبركة .

الفارابي — بارك الله فيك يا بني .

مجاهد — انيّ مدين لك يا معلم بتوجيهك تفكيري القاصر الى النظر في الله نفسه ، خلافاً لتكندي الذي كان يقصر انفاسنا على الاهتمام بآثار الله فحسب . وقد اطمأنّ قلبي إلى فوزك إنه لا شك في رجوع النفس الى الله ، وأن هناك أيضاً ترقيّاً في المراتب إذ أن النفوس الانسانية تترع إلى الفناء في العقل الذي فوقها ، وكذلك نفوس الافلاك بالاخرى حيثما تتقرب الى الله . وما أجمل تعليلك بأن النفس الانسانية إذا صعدت إلى

العالم العلوي رأت أن هذه الحياة هي عين الحياة الأخرى لأن الله في كل شيء وهو الكل في وحدته ! (أغمان و الاتحاد) أجل . قرت نفسي واطمأنت .

صقر - أسمعت يا حرقوش ؟ تب الى الله وارجع الى الحق ، ودعك من اغتيال نصيبي.

حرقوش — لا أعرف إذا كان يتكلمان بالتركية أم بالرومية . وهأنذا راجع الى ما أفهمه وحده . إني راجع الى القصر . تق

المنظر الثاني

(في قصر سيف الدولة بحلب ، حيث اجتمعت زمرة من الادباء وأهل الفضاء والموسيقى والشعراء والمفكرين يتقدمهم أبو نصر الفارابي ، والوقت أصيل في اليوم التالي للمنظر الاول)

سيف الدولة — ماذا أعددت للغناء يا قينة ؟

القينة - اعددت يا مولاي قول الشاعر:

يا جمرةً لم تزلْ مطيفةً في الغمامْ
مليوفةً الذيلْ سعيدةً في الاوامْ
السحب نارٌ لها ما خطبها ؟
لم أتبعْ خطوها ما حبها ؟
ما خنقها الباقي طول الحياة ؟
ما ورعها الباقي كل الشفاة ؟

سيف الدولة - لعل شاعرنا يرمز بهذا الى «النفس» . وهذا يشوقني الى محادثة أبي نصر .

الفارابي — هذا شرف لي يا مولاي .

سيف الدولة — أول صفة لله في نظر المتكلمين والطبيعيين هي أنه صانع حكيم ، فما هو الأساس عندك يا زعيم فلاسفة المنطق ؟

الفارابي — إن الله هو الموجود الواجب الوجود ؟ (أصوات استحسان من المجلس)

سيف الدولة — حسن. فاذا يدلك عليه، يمنعك أو تشكيك في العلة الأولى؟

الفارابي — إن العالم يا مولاي مظهر لانه حكيم عادل ، واحد في ذاته وصفاته ، مبدع ، بمعنى أنه علة لوجود الاشياء ، فهو يعطيها الوجود الأبدي ويدفع عنها العدم الأبدي ؟ أما تأثر الجزئيات بعد ذلك فهو ينشأ من فعل طبيعي ، يفعل بعضها في البعض

الآخر ، وذلك وفقاً لقوانين نعرفها من التجربة . وتأثير العلة الأولى في الكون إنما هو تأثير واتصال كلي عام لا جزئي ، من حيث ما يجب أن يكون عليه من نظام وما له من غاية ، هذا التأثير العام خير لا شر فيه ، لأن طبيعة المعقول الثلاثة الأولى خير لا شر فيها . فالموجودات صلة متدرجة متصلة يردها الخير المطلق ، واذا كان هناك من شيء نرده الى الجزئيات المتناهية المحددة المرى . (أصوات استحسان من المجلس)

سيف الدولة — هذا بديع يا أبا نصر ، فما رأيك في المعرفة الانسانية ؟

الفارابي — رأيي أن المعرفة الانسانية لا يحصلها الانسان باجتهاده ، بل هي تتجلى على الانسان في صورة هبة من العقل الفعّال الذي على ضوئه وضوء صوره المفارقة — لا على ضوء ادراك صور الأجسام بوساطة الحواس — يستطيع عقلنا إدراك الصور الكلية للأجسام السابقة على رؤية الأشياء المادية المحسوسة وادراكها ، ولهذا كان الاحساس معرفة عقلية ، وكل مادي محسوس ليس مرده الى القوة المتخيلة والوجود الحقيقي ، بل مردة الى العقل وما يصوّره .

سيف الدولة — بديع . بديع . فما رأيك في الوزارة يا أبا نصر ؟

(ضجة من المجلس « الوزارة »)

الفارابي — هذه يا مولاي لا يفهمها عقلي القاصر المحصور في التأملات الفلسفية والأدب والفنة والموسيقى وما اليها . إن الوزارة لجوهر نعجز يدي عن لمسه ، وذهني عن ادراكه ، واجلالي مولاي عن قبوله . فما أنا الا فكرة جائلة ، وخيال شرود ، وتأمل واثب ، ولحن ما له قرار . والوزارة هي نقيض كل هذه الخيالات والأوهام يا مولاي .

(ضجة عجب من المجلس)

سيف الدولة — سأدعك تفكر بضعة أيام يا أبا نصر . أما الآن فعودي أن تخص بالتكريم . لقد أسمعتنا قبلاً من موسيقاك المفرحة ما أطربنا أي اطراب فضحكنا وضحكنا ، وأسمعتنا من الموسيقى المدجية ما أبكانا ، فهل لك الآن في معجزة أخرى تفاجؤنا بها ؟

الفارابي — هذه أذن الرضى يا مولاي .

(تعزف موسيقى هادئة منومة ، فينام جميع من في المجلس ويسمع شخير أحدهم)

الفارابي — (ساخراً) هذا بلا ريب أحق الناس بالوزارة . والآن يمكنني أن أنقد أفلا ما يملكه انسان . يمكنني أن أفر بنفسي !

المنظر الثالث

(في بستان الشيخ عاهد خرج على حين كان الشيخ الأول منذ يومين. أما الوقت فغروب).

الشيخ صقر — يا سلام يا شيخ حرفوش ! إن عقلي طار أو كاد ! بينما كنت أصلي سمعت الشيخ مجاهد يحدّث ذلك الرجل العجيب الذي جاء للبستان منذ يومين ، ويسميه بكل إجلال « النار » أو « القارة » ؟

الشيخ حرفوش — « النار » ؟ « القارة » ؟

صقر — إي والله يا زميلي ! والأعجب أنهما كانا يتكلمان كلاماً سهلاً أعجب مما سمعناه معاً ، وكله أحاج وألغاز . وعلى الرغم من ذاكرتي الجبارة التي تحتدها فإنها لم تستطع أن تعي أكثر من جملة أو جملتين قال ذلك الرجل العجيب : « إن الأشياء تصدر عنه لكونه عالماً بذاته ، ولأنه هو مبدأ النظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه . فإذن علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه ، وليست قدرته وإرادته » .

حرفوش — يا شيخ صقر ! أحمد الله على حسن تفاهمنا بعد ما جرى منذ ليلتين ، فلا تفسده يا سامحني بهذه الطرطبلات ! اتفقنا على تقسيم الفاكهة واختصاصي بالفستق ، فما معنى السخرية في الآن وخلق نفور جديد ؟

صقر — « نفور » يا شيخ حرفوش ، وليس بيننا الآن إلا كل احترام ، ألم تقل إنك مؤلف كتاب (إيثار البندق على الفستق) .

حرفوش — وما شأن البندق والفستق بما قلته من الكلام السرياني ؟

صقر — « سرياني » يا شيخ حرفوش ، هذا كلام عربي فصيح حسبت أنك كمؤلف أديب تستطيع حلّ رموزه . وما دمت تحسبه سريانيًّا فاسمع العربي الأفصح . فإن الشيخ مجاهد قال بصراحة لهذا « النار » .

حرفوش — أي « نأر » يا شيخ صقر .

صقر — يظهر أنك يا شيخ حرفوش في غير وعيك ، كل هذا الوقت وأنا أحدثك عن « القارة » العجيب الذي يظهر أنه من خوارق الله سبحانه وتعالى والآن تسألني : أي نأر.

حرفوش — لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا ما كنت أخشاه . ألم أنصحك

بالتخفيف من أكل الاجاص ، ألم أقل لك إنه أنسب لي مثل الفستق تماماً .

صقر — أي أجاص وفستق يا شيخ حرفوش ، حلمك واستمع الى مصيبتنا الكبيرة .

حرفوش — أي مصيبة ، لقد فقدتك والله ، رحمة الله عليك يا صقر .

صقر — اسمع ولاتقاطعني ، فالشيخ مجاهد اشتكى الى هذا « الفأر » الكبير الذي يعظمه من الاغارة على محصول الفاكهة والتهم .

حرفوش (مقاطعاً) — يا خبر أسود ، اتهمنا .

صقر — نعم يا خبر أسود ، اتهم على ما أظن جماعات الفيران بالاغارة على محصول الفاكهة ، واستنتجت منه إنه قال له إنه يعتمد عليه كشيخ الفئران في رد غارتها وأنه ...

حرفوش (مقاطعا) — قلت لك إنك جننت ، فلا حول ولا . (يسع وضع أقدام مقترب)

صقر (مقاطعاً في صوت منخفض) — هلمّ تتوار . سنسمع بأذنك . لقد سأله الفأر عنا ، ولكن الشيخ مجاهد أنكر أن تكون لنا صلة بهذه الاغارة على فاكهة البستان . وشهد لنا بأننا من أولياء الله الصالحين ، وأنه يزوّدنا بالكفاية من جيد الطعام كما نشتهي ، وأننا لو كنا حتى من فصيلة الثيران أو من البغال والحمير لكان من المستحيل أن نبتلع كل هذه الفاكهة .

حرفوش (في صوت منخفض) — وهل سمعت يا مغفل أن فئراناً تغير على بستان كما أغرنا نحن ، سه ، ها ها مقتربان .

مجاهد — هذا لا يليق يا معلمي ، فقد حضر منذ ساعة رسل الأمير يبحثون عنك لأن امرك يهمه وهو يحبك ويجلك ويقدر مواهبك العالية اعظم تقدير ، ولا بدّ أنهم سيعودون الليلة او غداً ، لأنهم يفتشون عنك في كل مكان اعتدت ان تتردد عليه . فاذا يقال للناس ، ايقال لهم إن ابا نصر الفارابي فيلسوف زمنه وامام الموسيقى هرب من الوزارة طالباً ان يعمل فاطوراً في بستان كهذا .

الفارابي — هذا فضل كبير منك يا اخي لو سمحت به لاتفرغ لعبادة الله ، متأملاً في ذاته العلية ، كما يتأمل كل ناطور .

(لمحة موسيقية ملائمة في النهاية مشعرة بفرحة الطيبا)

غزوة أسبتريرة

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

موسى بن نصير ، الفاتح العربي	فاضل بن مسروق
لذريق ، ملك القوط	عامر بن مشنوق
جوليان ، حاكم سبتة	طريف بن مالك ، القائد
فلوريندة ، بنت جوليان	حاجب لذريق

جندي

المنظر الأول

(لقصر جوليان صاحب سبتة مساء يوم رسمي من السنة الحادية والتسعين للهجرة = ٧١٠ م)

فاضل بن مسروق — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر بن مشنوق (مغاظاً) — أتسبح الله يا ابن مسروق .

فاضل — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر — (مغاظاً) أبك مس يا ابن عمي .

فاضل — نعم . نعم . فمولانا لاحظ أو قال إن لقبي شارة الخير ، ويدعى أني أنا « ابن مسروق » جلبت له الحظ والبركة .

عامر (مغاظاً ، متهكماً) — أنعم بك وأكرم .

فاضل — لا تتهكم يا صاحبي عليّ . فقد ذكر مولانا عنك أنك لقبك يا « ابن مشنوق » قال الحياة .

(يضحكان ساخرين ضحكة خفية مكبوتة)

عامر — سبحان المغير الذي لا يتغير . كنت أقصر بقشاؤم مولاي من لقي سبحان إذن

فاضل (مقاطعاً) — عمرك الله . لا تتعجل الفرحة يا رفيقي .

عامر (جازعاً) — ماذا وراءك يا ابن مسروق ؟

فاضل (منبطاً) — لا تسألوا عن أشياء إن تب .

عامر (مذعوراً) — يا فاضل يا ابن مسروق . حذار ، حذار . أنظر يدي . سأخنقك إن لم تفصح .

(تسمع حركة هجوم عامر على فاضل ، مقاطعاً يديه على عنقه)

فاضل (بصوت مختنق) — آخ . خ . ستخنقني يا أحمق . انتظر — سأخبرك .

عامر (متلهفاً) — تكلم اذن قبل أن تخرس الى الأبد .

فاضل (منهوكاً) — آه — اسمع يا ابن عمي ، ما أريد لك الا الخير ولم أشأ أن أخدعك .

عامر (مقاطعاً ، ملهوفاً) — تتجمل تتصنع أفصح يا أزعر قبل ان أهوي عليك بيدي . افصح . افصح .

فاضل (خائفاً ، متمتماً كلامه) — آخ . استمع ولا تقاطع حديثي ، وسأبلغك كل شيء . آخ .

عيب يا ابن مشنوق . آخ .

(متماسكاً بتعدد يطه وضعف) — صدقني يا ابن عمي . ان مولانا يحسن الظن بك ويتفاءل . ولكن . ولكن .

عامر (مقاطعاً) — اسمع انت يا ابن عمي إن مولانا في الواقع لثقته البالغة بك رأى البركة اوصالك الى ميدان القتال في...

فاضل (مذعوراً مقاطعاً) — القتال ل . أنا أنا . القتال ل .

عامر (مقاطعاً مستزيداً توثبه) — نعم ، نعم . فاسمع ولا تقاطعني . وستتبين صداقتي الحقة لك . إن مولانا الأمير أعزه الله ونصره رأى بثاقب تفكيره وبعد نظره أن تكون أحد الحسناة المختارين لغزو جنوب الأندلس تحت إمرة طريف بن مالك !

فاضل (خائفا صائحا) — أنا يا ابن مشنوق ، لعنة الله عليك . ألم تعتذر عني لمولاي بأني عليل تعيقني رؤية السيف مجرداً به القتال . ثم إن مولاي الأمير لم يحدثني عن ذلك . ومن يدريني أن هذا ليس تآمراً منك . اعترف يا خبيث . اعترف !

طامر (خائفا من هياج صاحبه) — . آخ . إستمع يا غبي ما دمت تريد الحقيقة كاملة . استمع .

فاضل (لنفسه) أسرع اذن بالكلام ولا تحرج صدري .

طامر — لقد استشار الأمير الخليفة فأذن له بالغزو . أما المحرّض الأول على هذا الغزو فصاحب هذا القصر جوليان .

فاضل (مغاظا) — جوليان.

طامر — أجل جوليان . وكان لا بدّ من اختيار نخبة من الفرسان الأشاوس ، فكنت أحد المختارين بل في طليعتهم .

فاضل (دهشا) — أحد الأشاوس المختارين ! يا لله . لقد جن العالم . أنا الذي أفرق لرؤية المرشد ولم أعرف صهوات الجياد . أنا الذي أغمى عليّ يوم هاج جواد الأمير . أنا الذي .

(يسمع صوت أقدام وسنى الخطو مقتربة)

طامر (مغاظا بصوت منخفض) — حاذر يا مغرور . ها هو الأمير قادم . هلمّ بنا الى غير هذا المكان فان بصحبته أحداً ، وقد تتمكن من استراق السمع .

(تقترب الأصوات)

الأمير موسى بن نصير — . نعم إني راض عنك يا جوليان ، وانى مسؤول الآن عن حمايتك بعد أن صرت تابعاً لي تدفع الجزية التي ارتضيتها . ثم انى سأتولى غسل العار وسأقضي على الطريق عقاباً عادلاً لاختطافه ابنتك الحسناء وسترى فلورينده ثانية بعد أن ننتصر نهائيا في حربنا التي أجازها أمير المؤمنين .

جوليان — شكراً ، شكراً يا مولاي . كنت أصبح كفيفاً من بكائي على فراق ابنتي المحبوبة التي أود لو افديها بنفسي . شكراً يا مولاي . وان الثأر لثأران ، فان صبر لأولاد غطشة الذين كان والدهم ملكاً لاسبانيا قبل الطريق فاغتصب هذا العين

ملاك أبيه كما نصب أخيراً فلوريندة .

الأمير موسى — دعني روعك يا جوليان . فالعدل سوف ينتصر . العدل كسول ، وأحياناً خجول . ولكنه لا يفر من الميدان عندما بطليعة قليلة ، ولكن لها ما بعدها ، فكن صبوراً ، وان تكن صداقة النصر كالصبر ، ولكنها صداقة لا تخيب حلوة العاقبة . ولقد انتشيت يا جوليان رجالي وأعددت مراكبي الى جانب مراكبك ، وجيشهم من الأبطال الأشاوس .

عامر (بصوت خافت بيده) — يا لله . أنا من الأبطال الأشاوس .

جوليان — إنك تصل على احقاق الحق حين تعمل يا مولاي على انقاذ شرفي . أطال الله عمرك وجعلك دائماً منارة البائسين .

الأمير موسى — ستكون هذه الحملة مثالية في حسن التنسيق والاختيار . وفي البداية لم أبخل عليها حتى بتابعي فاضل الذي أومن ببسالته .

فاضل (دهشا ، بصوت منخفض بيده) — ببسالتي أعوذ بالله .

الأمير موسى (متابعا كلامه) — اما الآن فقد استخرت الله وسأرسل في الطليعة ايضاً تابعي الآخر عامر بن مشنوق .

عامر (مذعوراً مغلوباً ، بصوت منخفض بيده) — خير اسود يا ابن مسروق .

المنظر الثاني

(في غرفة الجلوس الخاصة بقصر قشتيل ملك القوط في مدينة طليطلة ، وقد جلس مساء يحادث فلوريندة ابنة جوليان) .

قشتيل — ايطل النور معي لبغضك أم ترى رمز حبك المستور
انظري قلبي المناجي لقلبك تطمئني ، وتصغي عن شعوري

فلوريندة (حائرة) — اي صفح ترجو وأنت الذي يمرح في الغدر ساخراً بالوجود ؟
إنما الثوب وحده يشمل الصفح فتب ، فالدمار عقبى العنيد !

قشتيل — هذا ابوك يا فلوريندة فتح ابواب سبتة لابرابرة العرب الكافرين ، ولا يبعد ان يحرضهم عليّ ، وهذا ما لا يفعله الكريم مهما تكن الدوافع ، دالاً على

الكرامة الدينية والكرامة الوطنية معاً . واذن لم اكن خائناً في مسلكي إذ منعتك من العودة اليه . فأنت شمس في قصري ، بل في سماء طليطلة . واي جدوى لك من العودة إلى جوّ الصغار والدسائس والحرب .

فلوريندة — حقي أن أعود إلى أهلي ، فما جئت الى بلاط طليطلة إلاّ مكرهة ، فلم أقدم الا تضييع شرفي والغدر بي وبأهلي . أرجعني إليهم وتب الى الله يا غادر .

لذريق (مغتاظاً) — لا أود أن أغلظ لك القول يا فلوريندة ، فلا تحرجيني .

فلوريندة — وماذا في إغلاظك القول بعد إغلاظك العمل ؟ أما العرب الذين تتهمهم بالبربرية والكفر فقد صحبت أنهم أهل إحسان ورحمة أعراض . فأين أنت منهم ؟ أين أنت .

لذريق (مغتاظاً) — إخرسي يا امرأة .

فلوريندة — حسناً اظهر بثوبك الحقيقي . إظهر بثوب الأرقم .

(يسمع صوت برق مقفر)

لذريق — رباه ما هذا . (يسمع وقع اقدام متتابعة) إنك لشؤم عليّ . ومع ذلك أظل متعلقاً بك .

(يدخل حاجب الدريق)

الحاجب — عفواً يا مولاي . بالباب رسول يقول إن العرب أغاروا على منطقة « الجزيرة » ودحروا حاميتها .

لذريق (مذعوراً) — يا رباه .

المنظر الثالث

(على ربوة في منطقة « الجزيرة » بطرف الاندلس ، وقد انتظم الجنود العرب صياحا وميمنة وميسرة والقائم متظرين تحية قائدهم طريف بن مالك قبل عودتهم الى مراكبهم قافلين الى شمال افريقية) .

طارق بن مشترق — لعلك مسرور الخاطر يا ابن مسرور بعد أن أطار ذلك السلح اسبمين من يدي اليسرى .

فاضل بن مسرور — لم تكن منها فائدة ، وقد نال وزنك الى أسفل .

عامر ـ وكيف سأقابل الأمير بعد أن فقم المالح الآخر أذني اليسرى وهو يتظاهر بأنه جريح .

فاضل ـ وما الذي سأقوله أنا لمولانا بل كيف سأقابله بهذا الجرح الغائر في رأسي وبعضة تلك المرأة المولولة البدينة لذراعي ، ولا عضة لبؤة .

عامر ـ الحق عليك يا ابن مشنوق ، إذ كان عليك أن تجندها .

فاضل ـ لا تنس يا ابن عمي أننا كنا وما زلنا عرباً ، نحرص على أخلاقنا قبل الحرص على أعضائنا وأرواحنا .

(تسمع جلبة الجنود لقدوم قائدهم طريف بن مالك يخطبهم)

طريف بن مالك ـ السلام عليكم ورحمة الله (يرد الجنود بالتحية)

أيها الجنود . أهنئكم بنجاح هذه الغزوة المباركة التي هي مقدمة لحملة كبرى ، لا ريب فيها ، لنصرة الحق ودين الله . وسيسر مولانا الأمير حينما يبلغه أن خسائرنا طفيفة ، ولكنه سيسر أكثر حينما يعلم أننا بسبب قلة عددنا ووعورة المنطقة كدنا نطوق ويلقى بنا إلى البحر ، لولا البسالة الخارقة ، والتصرف الحازم العجيب ، والقدوة الحسنة التي قام بها بطل منكم كان يحارب بعدة ويدبرة كالمارد الجبّار شاهراً الطريق لكم وكأنما نسي نفسه وهول الموقف ، وكدت أطير اليه إشفاقاً وخوفاً على حياته . ذلك ما قام به بطلنا الأشوس الفذ عامر بن مشنوق .

(ضجة من الجنود)

أين هو (يسمع غطيطه وغطيط زميله وقد غلب عليها الاعياء)

جندي — انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

طريف بن مالك — وليس بينكم إلا جندي واحد يستحق اللوم بل التعنيف الشديد .

(ضجة من الجنود)

نعم . فقد تهوّر في البسالة حتى كاد يستشهد عمداً ، وكأنما كان يعاند القدر ذلك هو فاضل بن مسروق بطلنا الأعظم .

أين هو (يسمع النطيط مرة أخرى)

جندي ـ انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

[ختام الدرامة على صوت هدير البحر وموسيقى ملائمة]

أبو دلف الخزرجي

دراما في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

نصر بن أحمد الأمير السامانى	وانج كوسنج ـ حاكم كانتون (في الصين)
أبو دلف الخزرجي	تشانج تشنج وو ـ رسام صيني
عبد الباسط ـ تابع أبي دلف	وانج مي لي ـ ابنة حاكم كانتون

المنظر الأول

(في ميناء كانتون على نهر سيجان قبيل الغروب في يوم من نيسان سنة ٩٤٢ م) .

عبد الباسط (خائفا) ـ تمساح ، والله ، تمساح.

أبو دلف (متعجبا) ـ أين؟ أين.

عبد الباسط ـ هناك ، هناك ، الى اليمين .

أبو دلف ـ لا أرى شيئاً . ولم أسمع عن تماسيح في هذه المياه .

عبد الباسط (ملهوفا) ـ تأمل يا أبا دلف ! صدقني . تأمل ، هناك لا هنا .

أبو دلف ـ هذا دوار البحر يا عبد الباسط .

عبد الباسط (خائفا) هذا رأسه يظهر ويختفي ، وهذه يده تمسكة بعود . وها هو يرمقني بعينين ناريتين كأن بيني وبينه ثأراً !

أبو دلف ـ يا عبد الباسط ، لا بدّ أنك تحلم . هذا هذيان يا صاحبي . من قال إن تمساحاً يجلس في دكان لترويع المسافرين ، التماسيح تعيش في الماء يا صاحبي ونحن على اليابسة .

عبد الباسط ـ ها هو ، ها هو ، وهو يشير إليّ بالوقوف . هذه ـ لا ريب ـ بلاد العجائب . هذا تمساح بري بلا شك .

أبو دلف ـ لا حول ولا قوة إلا بالله . سأسأل عن بيمارستان المدينة لأتركك فيه

حتى تثوب الى رشدك .

عبد الباسط ـ لولا عنادك يا ابا دلف لرأيته رأي العيان . انظر . انظر . ها هو يشير إليك . إنه أمامك مباشرة .

ابو دلف ـ إننا لم نخط خطوة واحدة منذ تركنا المراكب وشغلتنا بهذا النساح الخراقي . وإذا لم تقلع عن هـذا الهذيان فليس أمامي إلاّ أحد امرين : إما العودة الى المراكب او حبسك في بيمارستان .

عبد الباسط ـ بيمارستان يا ابا دلف . اهـذا جزائي لتحذيري اياك . ورأس مولانا الامير رأيته ينظر اليك بعينين تكادان تأكلانك . انا لا اخاف على نفسي بل خوفي عليك . فأنت تبضّ باللحم والشحم ، ولا بدّ انه باديء بك . وقد يتخم فينصرف عني

ابو دلف ـ لا حول ولا قوة إلاّ بالله . هلمّ بنا يا رجل .

عبد الباسط ـ انظر . انظر ها هو يشرئب إلينا .

ابو دلف ـ من يا مجنون . هذا . هذا رجل مثلي ومثلك . هو صيني عجوز لا اكثر ولا اقل . فأي شبه بين وجهه ووجه النساح . ومتى كانت التماسيح ضفائر . ومتى كانت تتزيّا بملابس . ومتى كانت توظف في الحوانيت . لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ثب إلى رشدك يا عبد الباسط ولا تجعلنا اضحوكة بين اهل هـذه البلاد الغريبة التي نجهل لغتها وعاداتها . ثم اين الخرجان يا عبد الباسط .

عبدالباسط ـ (دهشا) الخرجان .

ابو دلف ـ نعم . الخرجان . هل فقدت متاعنا في اثناء هذرك عن النساح .

عبد الباسط ـ (برجلا) الخرجان . اي والله لقد سرقا .

ابو دلف ـ إذن الويل لك ولي ، ففيهما كل ما نملك ، وستخيب مهمتنا ، وسنرجع بأسوأ من خفي حنين ، وإن شاء الله سوف يقطع رأسك ورأسي .

عبد الباسط (مضطربا سائلا) الخرجان يا مؤمنون . الخرجان . الخرجان

ابو دلف ـ إخرس يا أبله ولا تجمع الناس حولنا . لا مؤمنون هنا ولا عرب ولا بد من اللجوء الى الحاكم لانقاذنا .

عبد الباسط ـ الحـاكم . الحاكم .

أبو دلف ـ أجل . الحـاكم وإلاّ أكلنا الناس قبل التماسيح .

المنظر الثاني

الفريق : في مصر وانج كورسنج حاكم كانون الثاني سنة ٩٧٨ يوم عرج إليه أبو دلف وتابعه عبد الباسط لاقاتهما بعد أن غادرا منافيهما . وجلس الحاكم وإلى جواره ابنته ، وانج بي لي يستقبلان الزائرين .

الفريق : يسير أبو دلف وبصحبته عبد الباسط و الزهدة متجهين الى حجرة الحاكم للفترة الباب أمامهما فيعتر عبد الباسط في بساط الزهدة .

أبو دلف ـ (بصوت خافت) ماذا أصابك يا رجل . أمزمع فضيحتنا مرة أخرى .

عبد الباسط (بصوت خافت) ألم تر ما حدث.

أبو دلف (بصوت خافت)ـ ماذا . أعصاح آخر.

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ ألم تر الجندي يهز قبضتي يديه معاً محوفا .

أبو دلف (بصوت خافت) ـ وماذا في ذلك .

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ هذا والله نذير شؤم ، فهو تهديد صريح .

أبو دلف (بصوت خافت) ـ أي تهديد يا مجنون والجندي يحييك .

عبد الباسط(بصوت خافت)يحييني . سبحان الله .

أبو دلف(بصوت خافت) ـنعم ،فهذه التحية الصينية ، وكان عليك أن تحييه بمثلها . والآن صه فها نحن في حضرة الحاكم وسيدة معه ، ولتكن رابط الجأش .

(يتقدمان نحو الحاكم)

ابو دلف ـ سلام على سيدنا الحاكم .

عبد الباسط ـ س . س . س . سلام !

وانج كورسنج ـ وعليكما السلام .

ابو دلف (بصوت خافت مخاطبا عبد الباسط)ـ لا تفضحني يا رجل .

وانج كورسنج ـ يظهر ان زميلك متعب ، ، فاجلسا .

ابو دلف ـ حقيقة يا سيدي هو متعب ذهنيًا .

عبد الباسط (مرتفعا بصوت خافت)ـ ذهنيًا يا ابا دلف . اتريد إدخالي البيمارستان . اصمت على الغدر بي .

ابو دلف ـ هو متعب ذهنيًا وقد اكون مثله ، فقد فقدنا خرجينا وفيهما كل ما نملك

وانج كوسنج ـ اما عن خرجيكما فهما بأمان عندي وستتسلمانهما ، وقد نسيتهما ، واما عن زيارتكما ايّانا فانّا نرحب بها ، فاذا وراءكما .

ابو دلف ـ (شكراً يا سيدي) إني مكلف من قبل سيدي الأمير السامائي نصر بن احمد لرفع شكره على ارسال اميركم نمثله لخطبة فريدته ابنة امير بخارى .

وانج كوسنج ـ اهلاً بكم وسهلاً . دعاني اقدمكما إلى ابنتي وانج مي لي .

وانج مي لي ـ اهلا بكما . أأنتما من العرب .

ابو دلف ـ اجل يا سيدتي .

وانج مي لي ـ إن زميلك الشاب وسيم الطلعة . فهل هذا طابع شبابكم . لقد رسمكما في المرفأ احد مصورينا ومعي صورتكما هذه وقد كنتما في غفلة عنه .

عبد الباسط ـ يا سلام إحم إحم كلا يا مولاتي . إحم . إني اعدّ مثالاً ناصراً وكان المرحوم والدي يقول !

ابو دلف ـ لا تؤاخذيه يا مولاتي . فانه ما يزال مصاباً ببعض الدوار .

عبد الباسط (بصوت خافت) دوار يا غيور . اجننت .

ابو دلف ـ إن أهم ما يوصف به شباب العرب فروسيتهم ، وشهامتهم ، وكرمهم ، ونحن جميعاً نؤمن بقول رسولنا الكريم « اطلبوا العلم ولو في الصين » ولذلك جئنا إليكم مستفيدين . واما زميلي فسحته مألوفة ، واصلح منها واجمل طلعة خيلنا وبقرنا .

عبد الباسط (مدمدما) ـ خيلنا وبقرنا . استغفر الله من ذنوبي . خيلنا وبقرنا . خيلنا .

المنظر الثالث

المكان : في قصر الأمير السامائي نصر بن أحمد مدينة بخارى في شتاء يوم من سنة ٩٤٢ ، وقد عاد من السفر بعد انجاز مهمته في الصين أبو دلف الخزرجي يصحبه تابعه عبد الباسط .

الأمير نصر — لا تتوقف يا أبا دلف إن قصيدتك رائعة .

أبو دلف (مكملا التناوه) ـ :

ومن كان من الأحرار يسلو سلوة الحر ولا سيما في الغربة أودى كثر الصبر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر فطابت بالنوى نفسي على الامساك والهجر
على أني من القوم الهاليل بني الفرّ فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من (الصين) إلى (مصر) إلى طنجة، بل في كل أرض خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

الأمير نصر ـ أحسنت يا أبا دلف. هذه هي الروح العربية الوثابة التي جابت الأقطار وفتحتها مستفيدة ومفيدة، فرفعت لواء العلم والحضارة. وهذه هي تعاليم الاسلام الحكمة التي تدعونا الى التفتيش في مناكب الأرض، وتحثنا على الهجرة والكفاح في طلب الرزق والمنعة والسؤدد، مع البر دائماً بالوطن الأول. فنعم اقدامكم أيها الرحالة. إنكم لتحسنون إلى سمعة العرب عامة، على غير حال القابعين الخائفين. وإني لفخور بك يا أبا دلف، وأهنىء نفسي إذ أهنؤك بنجاح مهمتك:

أبو دلف ـ مديح مولاي من نبع يخص به فنه أستق رحيلي حين أسقيه
الله خص به ما عز من خلق والله ينبل محييه ومثويه.

الأمير نصر ـ والآن يا أبا دلف حدثني أكثر عن الغرائب التي رأيتها في الصين، فحديثك شائق مفيد.

أبو دلف ـ منذ اللحظة الأولى لنزولنا إلى البر واجهنا الغرائب يا مولاي. وبينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه عن تمساح في حانوت.

الأمير نصر (مقاطعاً متعجباً) ـ تمساح في حانوت.

عبد الباسط ـ اي والله يا مولاي.

أبو دلف ـ لا تحلف يا رجل.

أبو دلف (تابع) ـ بينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه وقد أفقدنا خرجينا.

عبد الباسط (مقاطعاً) ـ وجدناها يا مولاي.

أبو دلف ـ لا تقاطعني يا رجل، وتأدب في حضرة الأمير.

عبد الباسط ـ العفو يا مولاي.

الأمير نصر ـ استمر يا أبا دلف غير مقاطع.

أبو دلف ـ بينما كان هذا الغبي يدلل على لا شيء ، مخلوع القلب لرؤية عجوز صيني في حانوت بالمرفأ ، حاسبه تمساحاً ربما من نوع لم تعرفه الأوائل ولا الأواخر ، كان ذلك الصبي مكلفاً من قبل الحكومة برسمنا على لوحة من الخشب لأننا غريبان ويجب الحكومة أن تتعقب كل غريب في البلاد ، محتفظة برسمه لدى الحاكم . وفي الوقت ذاته تكلم شرطي من أخذ خرجيا بخمة عجيبة دون أن نراه حتى يفحصهما الحاكم ، ليتأكد من أننا لسنا من العيون والجواسيس . كل هذا جرى ونحن لا ندري ، بفضل الحيلة التي أثارها عبد الباسط وكاد يضحك الناس منا .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . هذه قصة طريفة .

أبو دلف ـ ولم يكتف بذلك يا مولاي ، بل شاء أن يقابل بنت الحاكم بمجرد أنها جاءتنا بكلمة لطيفة . ودهينا الى الطعام فحاول أن يقلد الصينيين أكل الأرز بعودين فما أكل أرزة واحدة ، وبدل ذلك نثر الأرز في عيون الضيوف فلكه أحدهم . ولم يكفه كل هذا فأراد أن يتنكر في زي صيني ليخفق مني ويداعب بنات كانتون ، ولكن سرعان ما كشفت أمره .

عبد الباسط ـ اتق الله يا رجل .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . لا ريب انه كان نعم النديم لك .

ابو دلف ـ والأدهى من كل هذا انه سمع مني عن اولئك التجار المتهتكين والشطار المحتالين الذين يطوفون الأقاليم ويتفننون في اختراع الحيل للحصول على المال ، فتظاهر بمثل هذه البراعة في رهط من أثرياء الصينيين ، مدعياً انه يستطيع ان يأكل بيضة كاملة بقشرتها دقيقة واحدة فتستحيل إلى فروج يخرج سليماً من انفه .

الأمير نصر ـ ها . ها ها . عدنا إلى عصر المعجزات .

ابو دلف ـ ولست ادري يا مولاي كيف توهم ان حيلته يمكن ان تنطلي على اولئك القوم . ولكني ادركته فاقد الوعي مصفراً بالبيض الذي ضرب به ام رأسه ، وقد وجد في جيبه فروج ميت .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . يا ليتني كنت بصحبتكما .

أبو دلف ـ لقد تسمت أن أبلغ مولاي الأمير كل ما جرى على علاته ، لا شاكياً ولا متعجباً . أما أعجب ما صنعه عبد الباسط ، وقد زاد به الطين بلة ـ كما يقال ـ فهو أنه .

عبد الباسط (مقاطعا صارخا) ـ الفساح . الفساح . هذا هو .

الأمير نصر ـ ماذا جرى ، ادرك الرجل . لقد أغمي عليه .

(يسمع صوت سقوطه ، ورفع اقدام مقتربة)

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ التفاح .

أبو دلف ـ هذا وهم تمكن من نفسه ولم أستطع يا مولاي أن أقتله . وهذا هو الرسام الصيني الذي حدثت مولاي عنه قادم ، فارتاع عبد الباسط لرؤيته وعاودته ذكرى التفاح الخرافي . ولست ادري لماذا يحضر تشنج وو متجشماً مشقة السفر .

الأمير نصر ـ اترك زميلك راقداً حتى يفيق ، سنرى ما هو امر هذا الزائر .

تشانج تشنج وو ـ السلام على الأمير المعظم .

الأمير نصر ـ وعليك السلام ، خذ مكانك على الرحب والسعة .

تشانج تشنج وو ـ إن مولاي ساكم كانتون اوفدني بهذه الهدية إلى سموكم (يناوله إياها) إنها رسم هذا السيد وزميله عندما نزلا غرفاً كانتون ، وقد صورتهما على هذه اللوحة الخشبية وأمر مولاي ان اضع نفسي تحت تصرف سموكم إذا ما اعجبكم هذا الفن ، واردتم ان اخدم سموكم ، وقد زودني بهذه الرسالة الرسمية اليكم (يناوله اياها)

الأمير نصر ـ إن هذا لطف عظيم وتفضل من سيدك ، وسأكتب إليه شاكراً واما الهدية ذاتها فتحفة رائعة سأعتز بها ، وسأستبقيك مكرماً لتمارس فنك بيننا ولتعلم مواطنينا الصالحين له

إن ديننا الحنيف كما يدعو الى السلوك القويم والتقوى — يدعو الى الاستمتاع بطيبات الحياة والى تقدير الجمال والنطق به وفنك أيها الضيف العزيز هو من الوان الجمال المهذب انه لفن رفيع ، والاسلام نصير لجميع الفنون الرفيعة ، كما انه نصير لجميع المثل العليا ، فأهلاً بك ومرحباً

تشانج تشنج وو ـ دام مجدك يا سيدي

الأمير نصر — لا ريب ان عبد الباسط عند ما يثوب الى رشده سيسر من رؤية صورته معك على هذه اللوحة المتقنة ، كما سيبتهج لهذا اللقاء الذي لم يكن ينتظره كيف حاله الآن يا ابا دلف (يذهب اليه ابو دلف ليفحصه)

(موجها خطابه الى تشانج تشنج وو) عاد عبد الباسط معتل الصحة من مشقة السفر ، وتصيبه احياناً نوبات اغماء ، ولكن لا خطر عليه ولا ريب انه سيبتهج لرؤيتك

ابو دلف — أخذ يستعيد وعيه يا مولاي ها هو يفتح عينيه ويتأمل

عبد الباسط (صارخا مشيرا وقد شاهد تشانج تشنج وو بجانبه) — التفاح التفاح !.

سلاّم الترجمان

دراما في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الواثق بالله ـ الخليفة العباسي	الخصي ـ كبير الأدلاء
سلاّم الترجمان	ملك الخزر
ابن حرب ـ كاتم سرّه	جارية السكة

المنظر الاول

في قصر الواثق بالله بمدينة (سر من رأى ـ Samarra) مساء يوم صيل من سنة ٨٤٤ م . وقد جلس هذا الخليفة العباسي يضرب على العود ويغني ، وفي حضرته سلاّم الترجمان وابن حرب .

الخليفة الواثق (ينشد على توقيع العود) : —

هل تعلمين وراء الحب منزلةً ... تدني إليك فان الحبَّ أقصاني .
هذا كتابُ فتى طالت بليّتهُ ... يقولُ يا مشتكي بثي وأحزاني

(ثم يتوقف عن الانشاد ويضع العود)

ما رأيك في هذا الصوت يا سلام . أعطه بكل المائة التي سنصفها .

سلاّم — آية في الجمال يا مولاي .

الخليفة الواثق — ولكني لم أدعك ثم ابن حرب لاجل هذا يا سلام ، بل لامر جدّ خطير .

سلاّم وابن حرب ـ خيراً ، إن شاء الله .

الخليفة الواثق ـ سأوفدك يا سلام في مهمة جليلة ، على أن يكون ابن حرب كاتم سرك .

سلام ـ كاتم سري يا مولاي . لا أعرف أحداً فضحني مثل ابن حرب ، بل لا أعرف

أحداً تفنن في اختراع الفضائح لي وتزويد امرأتي بها مثله ، وكل ذلك يا مولاي أيها قريبته .

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق ـ وما دفاعك عن نفسك يا ابن حرب ؟

ابن حرب ـ حاولت اصلاحه يا مولاي لخيره وخير عيلته .

سلام (ضاحكاً مقاطعاً) ـ إصلاحي . هل انقلبت الأوضاع ؟

ابن حرب ـ وجدته يا مولاي في زقاق الأعرج مخموراً وقد أيقظ الناس بصياحه فصبّت امرأة من شباك ماء على رأسه .

سلام (ضاحكا مقاطعا) ـ سبحان الله سبحان الله

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ما شاء الله . أنعم بأماسنا الواعظ .

ابن حرب ـ ألتمس من مولاي أن لا يصغي إليه . إنه يهذي .

الخليفة الواثق ـ لا جناح عليه ولا عليك إذا أعلنت التوبة . أكمل حديثك يا ابن حرب .

ابن حرب ـ فلما أدركته يا مولاي تشبث بملابسي فسقطنا معاً في الوحل . ولما سألته عن حاله قال إنه كان يصلي الفجر ، وان ملابسه ابتلت من كثرة الوضوء .

الخليفة الواثق ـ (مقاطعا) ها ! ها ها ! لعله كان يتوضأ فوق ملابسه . ها ! ها ! ها !

ابن حرب . . وسرت به نحو منزله وهو يترنح ويسبّ إمام المسجد ، فاذا إمام المسجد المزعوم هو صاحب الخمارة التي مررنا بها في طريقنا .

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها ! تبارك الله تعالى

ابن حرب ـ فلما سألت صاحب الخمارة عما حدث ، قال إنه نهاه عن الاسراف في الشرب فلم يرتدع ، وتعادى فأصرّ على أن يؤمّ جميع الحاضرين صلاة الفجر في الخمارة متوضئين بالخمر ، وأن يكون هو إمامهم ، وأخذ يصيح بالدعوة الى تقوى الله

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق (مقاطعاً ، متهكماً) ـ نعمت التقوى

ابن حرب ـ وأخيراً اعترف صاحب الخمارة بأنه اضطر الى ان يلقي به وبعربيد آخر ادّعى انه من اولياء الله الصالحين خارج الخمارة

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ها ! لقد كنت انسى المهمة الخطيرة التي دعوتكما لها ، ولكني اريد قبل التحدث عنها ان اسألك يا ابن حرب ماذا كنت تصنع في زقاق الأمرج عند الفجر ، وعليك ان تصدقني القول وقد امنتكما

ابن حرب ـ كنت يا مولاي قادماً من خمارة اخرى

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها

ابن حرب ـ ولكني يا مولاي لم اكن مخموراً مثله ، ولو ان امرأتي رفضت إدخالي البيت بعد ان تطلعت في وجهي وزعمت انى شخص آخر

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! حرام ان اردبكما بعد ان امنتكما ، فلأدع ذلك للزمن ، والآن أنصتا جيداً الى ما عندي

لقد رأيت في المنام ان السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مفتوح ، وهذا السد كما تعلمان واقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج ، فاستيقظت مذعوراً وبعد التروي ارسلت في طلبكما الليلة وقد اعتزمت ان ابعث بك يا سلام ، يعاونك ابن حرب ، لتفقد هذا السد

سلاّم ـ سيجدني مولاي عند حسن ظنه بي دائماً .

ابن حرب (وجلاً) ـ يا مولاي . إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي . وهل يرضيك أن تتركني تحت رحمة سلام وبنفسه ما بها ضدي . لا ويب عندي الله سيبارك أمة يأجوج ومأجوج إذا ما قطعوني إرباً إرباً وأكلوني . ومن يدري فقد يستمرىء طعم لحمي .

سلام ـ والعياذ بالله .

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! انى أعهد فيك الشجاعة دائماً يا ابن حرب .

سلام ـ وأنا كذلك .

ابن حرب ـ أسمعت يا مولاي انه فرحان لهذه المصيبة التي تنتظرني . أما الشجاعة . الشجاعة يا مولاي قد تنازلت عنها عندما حطمت امرأتي الابريق فوق رأسي في تلك

الليلة المباركة — ليلة القدر .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! لا ريب أنها كانت لك خيراً من ألف شهر .

ابن حرب — لاتعجب يا مولاي اذا كنت ذكرت لتلك الرؤيا ، فاسم يأجوج ومأجوج من أسماء الجن التي تحاشى الله سبحانه وتعالى ، رحمة بعباده ، ذكرها في كتابه الكريم .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! المتن يا ابن حرب فلن يقل عددكم عن خمسين رجلاً ، ومعكم مئتا بغل لحمل الزاد والماء ، وسأعطي سلاماً كتاباً الى حاكم أرمينية ليقضي حوائجكم ويسهل مهمتكم .

ابن حرب — افعل استودعك الله يا مولاي ، فلا أمل لي في رؤيتك ثانية ، ما دمت ستطرحني بين ثلاثة أعداء أشداء من الكواسر :

ولو كان يأجوج لكنت أتقيته ولكنه مأجوج أيضاً وسلاّم !
فراضيعتي ما بين غول مصاحبي وغربتي قدامي ، أهلكي اسلام !

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! ها ! ها ! ها !

المنظر الثاني

في طريق البيئة بأرض سوداء كريهة الرائحة بعد أن ساروا ستة وعشرين يوماً ، وقد مرض ابن حرب في الطريق بداء المفاصل .

ابن حرب — هات الحمل يا سلام ، أفقدني ، ان هذه الرائحة الكريهة تذكرني بحمارة مسكويه

سلاّم — اوأبيت مبلغ نفسي لك ومبلغ مخاوفك السخيفة

ابن حرب — نعم بك من رفيق ، ويا حبذا لو وجدت لك حيلة في امري ، فلا انا قادر على السير ولا على الجلوس ولا على الرقاد ، لقد نال مني داء المفاصل

سلام — لم يبق لك الا ان تطير

ابن حرب — لقد اخلص لنا الادلاء ، فلولا رائحة الحمل هذا لوهبت روحي ، ومن ان هذه الرائحة الخبيثة لهذه الأرض السوداء الكريهة ، كأنها عدو لنا بالمرصاد ، بعد

سيرنا ستة وعشرين يوماً

سلاّم ـ عليك اني أحتمل يا صاحبي فأمامنا جنة وعدنا بها الأدلاء

ابن حرب ـ لم يسمع عن أحد فارق الجحيم الى الجنة

سلام ـ الا تعلم اننا لم نصل الى هنا سالمين الا بعد ترصية من حاكم إلى آخر فلولا كتاب حاكم أرمينية الى حاكم اقليم السرير ، ولولا كتاب هذا الى امير إقليم اللآن ، ولولا كتاب هذا الأمير الى فلان لما امكننا ولولا كتاب فلان الى ملك الخزر لما كنا في عالم الاحياء

ابن حرب ـ ومن قال اني في عالم الأحياء ، عليّ بالخل يا سلام ، انقذني من هذه الرائحة النتنة

سلام ـ يقول الغضنفر كبير الأدلاء إن امامنا مسير عشرة ايام في هذه الأرض السوداء

ابن حرب (مقاطعا مهددا) يا غير اسود

سلام ـ ثم نصل الى اقليم فيه مدن خرّبها شعب يأجوج ومأجوج ، ثم ننتهي الى السور المنشود ، ويقول الغضنفر إنه لا بدّ لنا من السير سبعة وعشرين يوماً قبل ان نبلغ غايتنا

ابن حرب (باسما) ـ هذا ما توقعته ، فأدفني يا سلام هنا ومعي زجاجة خل ، اقرأ الفاتحة صورة على روحي

سلام ـ لا تيأس يا ابن حرب ، وقد احتفظت لهذا البغل لك ، وسأريحك بقية الطريق !

ابن حرب ـ خلني يا صاحبي في هذا الجحيم ، فلا أنتظر أفضل منه ، ولك أن تترك معي هذا البغل أنيساً ، فقد يؤنسني .

سلام ـ يؤكد الغضنفر أننا سنجد بعد ذلك الاقليم حصوناً تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية ، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط .

ابن حرب ـ لا بدّ أنها قد كفرت الآن . عليّ بالخل يا سلام عليّ بالخلّ .

المنظر الثالث

في قصر ملك الخزر في أسية خريدة من الناس تقدمها ، وبعد استئذانه رجال البعثة جلس يحادثهم ثم عرض عليهم أعجوبة لم يسمع بها من قبل .

ملك الخزر ـ وما هذا الوادي الذي تتحدث عنه يا سلام .

سلام ـ وصلنا في آخرة مراحلنا يا سيدي قبل المجيء إلى ملككم السعيد إلى جبل لا نبات عليه ، يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس ، طوله قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة ، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون الاسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، ومع كل منهم بزرية من حديد ، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة ليسمع من يسكنون خلفه ، فيعلموا أن الباب حفظة ، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً .

ملك الخزر ـ يظهر أنك تتحدث عن الحصون الواقعة في جبال القوقاز على مقربة من دربند ، في إقليم داغستان ، غربي بحر قزوين .

الفضفضر ـ (كبير الادلاء) هذا هو الصواب يا مولاي ، وقد رأى هؤلاء السادة الأعاجيب التي اشتهوا رؤيتها وعاينوا ذلك السور العظيم . وبحمد الله لم يبلغوا ملككم السعيد إلا وقد استردوا عافيتهم وأخص بالذكر السيد ابن حرب الذي كان عليلاً متهوكاً في الطريق ، وكذلك بغالنا وصلت سالمة .

ملك الخزر ـ نحمد الله على سلامتكم وعافيتكم . ليس لدينا أيها السادة من الغرائب ما قد يشوقكم . ولكننا اصطدنا اليوم سمكة عظيمة جداً جذبناها بالحبال ورفعناها إلى هنا . وهي خلف هذا الستار ، وسأريكم الآن فتأملوا .

(يرفع الستار فتبدو هذه السمكة العظيمة جداً على منصة خشبية كبيرة)

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر ، تبارك وتعالى .

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، أنظر ها هي ذي السمكة تتنفس ، أنظر يا عمي ، أنا في وعيي .

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر .

ابن حرب ـ جارية بيضاء جميلة جارية ، وسمنها مثل السكة تخرج من أذن السكة الكبيرة ، أأنا في وعي .

أصوات تعجب ـ سبحان الخلاّق العظيم .

(جلبة مستمرة لا تنطق الحوار) .

ابن حرب ـ أأنا في وعي يا سلام !

سلاّم ـ ورأس الخليفة لا أعرف إذا كنت أنت حالماً يقظاً ، فلا تسألني هنك .

أصوات تعجب ـ سبحان خالق المعجزات

ابن حرب ـ يظهر يا سلام أننا مخمورون وقد نال منا ذلك الشراب .

سلام ـ وأية خمر يا صاحبي ـ ولو كانت رحيقاً مختوماً ـ يمكن أن تبدع هذا المنظر الرائع .

ملك الخزر ـ هذا كل ما عندنا أيها السادة ، فلتعودوا بنا إلى خليفة المسلمين حفظه الله ، لعله يسر به ، وقد يتنازل بزيارته إيانا ليرى ما رأيتم .

الغضنفر ـ هذه يا مولاي تجربة الأوائل والأواخر ، ولقد طوّفت بأقطار كثيرة فما رأيت مثلها .

سلاّم ـ إننا لمشدوهون يا مولاي مما نرى .

(أصوات خلفية : الله أكبر تبارك وتعالى)

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، أنها تبتسم إلي ، أني لأراك هنا يا ابن عمي حتى يحضر مولاي الخليفة . لقد استعدت قوتي .

سلام ـ إن ضيافتنا تنتهي اليوم ، فمحال بقاؤك .

ابن حرب ـ سأبقى معها في أذن السكة .

[النهاية]

الفهرست

للجزء الاول من المجلد الحادي والعشرين بعد المئة

١	حديث المقتطف
٣	تصدير
٥	من نافذة التاريخ
٨	العدالة الاسلامية
١١	الحركة النسائية الاميركية
١٤	مقتل ابي مسلم الخراساني
٢٠	باسم امير المؤمنين
٢٤	اكبر خان
٣١	العطائر الطليق
٣٨	حارس البستان
٤٤	غزوة الجزيرة
٥٠	ابو دلف الخزرجي
٥٧	سلام الترجمان